روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

سري جداً !!

د. نبيل فاروق

147

# الصحوة الكبرى

www.helmelarab.net

## ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض ( مصر ) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدّم العلمى فى ( مصر ) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية ( نور الدين محمود ) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

## ١ ـ كابوس ..

من المؤكّد أن الظلام لم يكن أبدًا دامسًا مثلما كان فى تلك الليلة التى غاب فيها القمر ، خلف غيوم سوداء كثيفة ، لم تشهد الأرض مثلها قط ..

غيوم سميكة ..

قاتمة ..

ثقيلة ..

غيوم بدت ، وكأنها تجثم على أنفاس ( سلوى ) التى تقطع ذلك الطريق الطويل ، الممتد إلى أمد البصر ، وكل ذرة فى كيانها ترتجف ..

وترتجف ..

وترتجف ..

رعب هائل ، ذلك الذى سرى فى عروقها ، وغص به حلقها ، وانتفض له قلبها ، مع شعورها الرهيب بالوحدة ..

بالعزلة ..

بالضياع ..

وبكل الهلع والارتياع فى أعماقها ، هتفت :

ـ ( نور ) .. أين أنت يا ( نور ) ؟!

كم افتقدت زوجها ورفاقها ، فى تلك اللحظات العصيبة ، وهى تتلفت حولها ، وقلبها يخفق ..

ويخفق ..

ويخفق ..

إنها لاتدرى حتى كيف وصلت إلى هذا المكان !!

إلى هذا التيه ، المتشابك الطرقات ، المعقّد المسالك ، الذى يختبئ الخوف والرعب خلف كل منحنى فيه !!

كيف جاءت ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

آخر ماتتذكره هو أنها كانت تعمل ، فى مختبرها الخاص ، فى مقر الفريق الجديد ، بعد أن انهار المقر القديم ، مع انسحاق مبنى المخابرات العلمية المصرية بأكمله ، فى العملية السابقة(*) ..

---

(*) راجع قصة ( البقعة المظلمة ) .. المغامرة رقم ( ١٤٦ ) .

كل شىء كان يسير على ما يرام ..

كل شىء ..

ثم فجأة ، سمعت تلك الصرخة ..

صرخة قوية ، رهيبة ، تحمل ألم وذعر وعذاب الدنيا كلها ..

وتحمل أيضًا صوت ابنتها ..

صوت ( نشوى ) ..

وبكل لوعة وارتياع الأم ، هبّت من مقعدها ، واندفعت خارج معملها ، وهى تصرخ :

ـ ( نشوى ) ؟! ماذا حدث يا ( نشوى ) ؟! ماذا حدث ؟!

دفعت باب المعمل ، ووثبت خارجه ، و ..

ووجدت نفسها هناك ..

فى ذلك الشارع المظلم الرهيب ..

ولم تدر كيف قادها معملها إليه ؟!

لم تدر أبدًا !

فالمفترض أن يقودها ذلك المعمل إلى ممر طويل ، يضم حجرات رفاقها ، وينتهى بحجرة مكتب ( نور ) ..

المقدم ( نور الدين محمود ) ، ضابط المخابرات العلمية الأشهر ..

وزوجها ..

ولثوان ، تجمّدت فى مكانها ، وهى تحدّق فى الشارع المظلم الطويل ، بكل رعب الدنيا ، وصرخات ابنتها ( نشوى ) تتواصل ، وتتباعد ..

وتتباعد ..

وتتباعد ..

ومرة أخرى ، صاحت بكل لوعتها :

ـ ( نشوى ) ؟! أين أنت ؟!

فى هذه المرة ، بدا صوتها وكأنه يضيع فى فراغ عميق ..

عميق إلى أقصى حد ..

أما صرخات ابنتها ، فقد راحت تخفت ..

وتخفت ..

وتخفت ..

كما لو أنها تضيع وسط الفراغ ..

وسط الظلام ..

ووسط الخوف ..

وبكل ما يعتمل فى نفسها من مشاعر ، أرادت أن تجرى ؛ للحاق بابنتها ..

أرادت أن تجرى ..

وتجرى ..

وتجرى ..

ولكنها لم تكن تدرى حتى من أين يأتى الصوت !

ولا أين ذهب !

حتى قدماها كانتا ثقيلتين ..

مرهقتين ..

جامدتين ..

وبكل مرارة نفسها ، هتفت :

ـ لا .. ليس ( نشوى ) .. ليس ( نشوى ) ..

ثم راودتها فجأة فكرة جديدة !

إنه كابوس ..

نعم .. هو حتمًا كابوس ..

الانتقال من المعمل إلى شارع مظلم مهجور ..

الظلام الدامس ..

صرخات (تشوى) غير محدودة المصدر ..

نعم .. هو كابوس ..

كابوس دون أدنى شك ..

كل ما عليها إذن هو أن تجاهد للخروج منه ..

للاستيقاظ ..

عندئذ ينتهى كل شىء ..

كل شىء ..

المهم أن تستيقظ ..

ولكن كيف ؟!

كيف ؟!

(رمزى) أخبرها ذات مرة ، باعتباره خبيرًا نفسيًا ، أن أفضل وسيلة لتجاوز أى كابوس ، هو أن يكشف المرء أمره ..

أن يدرك أنه كابوس ..

بهذا فقط يتحطم ..

وينهار ..

ويتلاشى ..

وهاهى ذى قد كشفت أمره ..

وأدركت هويته ..

لماذا بقى إذن ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

تركّزت كل أفكارها حول هذه النقطة ، وأحاط بها صمت ثقيل رهيب ، و ....

وفجأة ، انطلقت تلك الضحكة ..

وانتفض جسدها بمنتهى العنف ..

الضحكة كانت عالية ..

مجلجلة ..

ساخرة ..

شامتة ..

ظافرة ..

شرسة ..

ووحشية ..

كانت أكثر الضحكات ، التى سمعتها فى حياتها ، شرًا وشيطانية ..

ولقد انتفض جسدها ..

وانتفض ..

وانتفض ..

ثم تجمّدت كل ذرة من كيانها رعبًا ، مع ذلك الصوت العميق المخيف ، الذى تردّد فى كل مكان حولها ..

وحتى فى أعمق أعماقها ..

تردّد قائلاً بكل المشاعر السالف ذكرها :

ـ إنه ليس كابوسًا .

امتقع وجهها ، وشحب جسدها كله ، وكأنما تبخّرت الدماء من عروقها ، وهى تقول فى ارتياع :

ـ ليس كابوسًا ؟! مستحيل !

تابع ذلك الصوت الرهيب :

ـ إنه أنا ..

وفى هذه المرة ، لم ينتفض جسدها فحسب ..

لقد انتفض كيانها ..

ووجودها ..

وكل ذرة فى جسدها ..

وكل قطرة دم فى عروقها ..

انتفضت من جسدها ، وحتى أعمق أعماق روحها ..

وبكل رعب الدنيا ، صرخت :

ـ أنت ؟! مستحيل !

تردّدت تلك الضحكة الرهيبة مرة ثانية ..

وتردّدت ..

وتردّدت ..

ثم عاد وجودها كله ينتفض ، مع شعورها بأصابع باردة كالثلج ، تنغرس فى كتفها ، وتجبرها على الاستدارة ، فاستدارت ، و ...

ولم تصرخ ..

أو حتى تنتفض ..

بل تجمّدت ..

تجمّدت تمامًا ، وكأنما تحوّلت ، فى جزء من الثانية ، إلى تمثال من الثلج ، وهى تحدّق فى ذلك الوجه أمامها ..

وجه رهيب ، لرجل أصلع ، مشقوق الجمجمة ، المزدوجة ، يتطلّع إلى عينيها مباشرة بنظرة ساخرة ظافرة وحشية ، بعيونه الثلاث ..

نعم .. زوج من الأعين الطبيعية ، وعين ثالثة هناك ..

فى منتصف الجبهة تمامًا ..

ومع تلك النظرة ، نطق بصوته الرهيب :

ـ لقد عدت .

وعندئذ .. عندئذ فقط ، انطلقت صرختها ..

انطلقت منها أقوى صرخة تجاوزت حلقها ، فى حياتها كلها ..

ـ « ( سلوى ) ؟!! يا إلهى ! ( سلوى ) ؟! »

وثب ( نور ) من مقعده ، داخل مقر الفريق ، فى مبنى المخابرات العلمية الاحتياطى ، واندفع بكل ذعره ولوعته نحو زوجته ، التى راحت تنتفض بمنتهى العنف ، وتصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

واحتواها هو بين ذراعيه فى سرعة ، هاتفًا :

ـ رباه ! ماذا أصابك ؟! ماذا حدث ؟!

أما زميله ( رمزى ) ، فقد تجمّد فى مقعده ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، دون أن ينبس ببنت شفة ، من فرط المفاجأة

والانفعال ، وهو يحدّق فى ( سلوى ) ، التى فتحت عينيها فجأة ، وهى بين ذراعى ( نور ) ، وبدا عليها رعب هائل ، وهى تتطلع فيما حولها ، قبل أن تهتف بصوت مختنق مبحوح :

ـ أين أنا ؟!

ربّت عليها ( نور ) ، محاولاً تهدئتها ، وهو يقول :

ـ أنت هنا يا عزيزتى .. بيتنا .. فى مقرنا الاحتياطى .. كل شىء على ما يرام .. كل شىء .

رفعت عينيها إليه بنفس الرعب ، ثم تلفتت حولها فى ارتياع ، قبل أن تتشبث به فى هلع ، صارخة :

ـ ( نشوى ) .. أين ( نشوى ) ؟!

اقتحمت ( نشوى ) المكان فى هذه اللحظة ، هاتفة فى لوعة :

ـ أنا هنا يا أمى .. رباه ! ماذا حدث ؟! لقد سمعت صرختك من نهاية الرواق ، فانطلقت أعدو مذعورة إلى هنا .

سألتها ( سلوى ) ، فى ذعر شديد :

ـ أنت بخير ؟!

أجابتها ( نشوى ) ، والدموع تتفجّر من عينيها :

ـ بالتأكيد يا أمى .. بالتأكيد .. ولكن دعينى أسألك أنا السؤال نفسه .. أأنت بخير ؟!

لم تفارقها نظرة الرعب فى عينيها ، وهى تدير بصرها مرة أخرى فيما حولها ، وتتشبث بزوجها وابنتها أكثر وأكثر ، ثم لم تلبث أن أطلقت ، من أعمق أعماقها ، زفرة مشتعلة كالحمم ، وهى تقول :

ـ رباه ! لقد كان كابوسًا بالفعل .

انعقد حاجبا ( نور ) فى شدة ، فى حين تمتم ( رمزى ) بمنتهى الدهشة :

ـ كابوس ؟!

هزّت ( سلوى ) رأسها ، وأغمضت عينيها ، وهى تطلق زفرة أخرى ، مجيبة فى توتر ، لم يفارقها بعد :

ـ لم أنم جيدًا ليلة أمس ، ويبدو أننى قد أغمضت عينى من شدة الإرهاق وتواصل العمل ، فغلبنى النوم ، و ..

صمتت لحظة ، انتفض خلالها جسدها ، قبل أن تتابع :

ـ ويا له من كابوس !

ضمها (نور) إليه فى حنان، متمتمًا:

- لا بأس يا عزيزتى .. لا بأس .. لقد انتهى كل شىء الآن.

غمغمت:

- حمدًا لله .. حمدًا لله.

تطلعت (نشوى) إلى وجه أمها الشاحب، فى إشفاق متعاطف، وغمغمت، محاولة أن ترسم على شفتيها ابتسامة:

- لا ريب فى أنه كان كابوسًا بشعًا.

أومأت (سلوى) برأسها إيجابًا، وتمتمت:

- أكثر مما تتصورون.

لم يحاول أحدهم سؤالها عما عانته فى كابوسها، إلا أنها لاذت بالصمت لحظة، ثم اعتدلت، متابعة:

- سأرويه لكم.

غمغم (نور):

- لست مضطرة لـ ....

قاطعته ببقايا توترها:

- أنا بحاجة إلى هذا.

التقطت نفسًا عميقًا، فى محاولة لتهدئة ما تبقى من ثائرتها، ثم راحت تروى لهم كابوسها ..

كابوسها الرهيب ..

وفى صمت تام، وانفعال رسم نفسه على ملامحهم فى وضوح، استمع الكل إليها بمنتهى الاهتمام ..

ثم انتهت من روايتها ..

وتواصل الصمت ..

لدقيقة كاملة أو يزيد، لم ينبس أحدهم بحرف واحد، وكأنما يسترجعون، ليس تفاصيل كابوسها، وإنما أحداث صراعهم المميت، مع ذلك الخصم الرهيب، الذى رأته فى كابوسها(*) ..

ذلك المسخ الوراثى، ذو المخ المزدوج، والقدرة المذهلة على السيطرة على العقول والأشياء ..

الخصم الشيطانى الرهيب ..

---

(*) راجع قصة (بلا جسد) .. المغامرة رقم (١٤٣).

وبصوت مرتجف خافت ، قطعت (نشوى) ذلك الصمت ، مغمغمة :

ـ الواقع أننى ، وحتى هذه اللحظة ، عاجزة عن تصديق أن أمره قد انتهى .

قال (نور) فى صرامة :

ـ (أكرم) نسف رأسه برصاصات مسدسه ..

وصمت لحظة ، ثم استدرك بصرامة أكثر :

ـ ولقد رأيناه جميعًا صريعًا .

تمتم (رمزى) :

ـ هذا صحيح .

ثم ارتفع صوته ، وحمل رنة من التوتر ، وهو يضيف :

ـ ولكن المرء يعجز عن تصديق مثل هذه النهاية .. عقل جبار ، كاد يسيطر على العالم أجمع ، ينتهى برصاصة .. أو حتى عدة رصاصات .. أيبدو لك هذا منطقيًا ؟!

صمت (نور) طويلاً هذه المرة ، وهو يسترجع عشرات المواقف والأحداث ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ ربما كان خصمنا طفرة وراثية عبقرية ، أو حتى نتاجًا شيطانيًا لتكريبات عقلية جبارة ، ولكنه ، وفى كل الأحوال ، مجرَّد بشر ، والبشر ، مهما بلغت قوتهم ، أو بلغت سطوتهم ، لهم مواطن ضعف واحدة .

وانعقد حاجباه فى شدة مع استطرادته الصارمة :

ـ وكلهم يموتون فى النهاية .

تبادل (رمزى) و(سلوى) و(نشوى) نظرة صامتة ، قبل أن يغمغم الأوَّل فى خشوع :

ـ سبحان الحى ، الذى لا يموت .

ران عليهم صمت متوتر ، استغرق نصف دقيقة أخرى ، فشدَّ (نور) قامته ، وهو يحاول الابتسام ، قائلاً :

ـ على أية حال .. إنه مجرَّد كابوس .

حاولت (سلوى) أن تبتسم بدورها ، وهى تتمتم :

ـ حمدًا لله .

كان من الواضح أن المناخ مازال ملبدًا بغيوم القلق والتوتر ، التى حاول (رمزى) تخفيفها ، وهو يلوِّح بيده ، قائلاً :

ـ كم أحسد (أكرم) و(مشيرة) الآن ، وهما يقضيان إجازتهما هناك فى مدينة (شرم الشيخ) الساحرة .

ابتسمت (نشوى) ابتسامة هادئة ، وهى تقول :

ـ يقولون إن الطقس رائع هناك ، فى هذه الفترة من العام .

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وهتف ، منتحلاً لهجة مرحة :

ـ لدى اقتراح .

التفت إليه الجميع فى اهتمام ، فتابع :

ـ لقد أنجزنا قدرًا جيدًا من العمل ، خلال الأسبوعين الماضيين ، فلمَ لانحصل على إجازة ، حتى نهاية هذا الأسبوع ، وننضم إلى (أكرم) و(مشيرة) ، فى (شرم الشيخ) ؟!

هتف (رمزى) :

ـ أظنها فكرة رائعة .

ولوّحت (نشوى) بيدها ، صائحة فى مرح طفولى :

ـ سأعد حقائبنا فورًا .

أما (سلوى) ، فقد اكتفت بابتسامة باهتة ، ونظرة تحمل

الكثير من التوتر والقلق ، فأمسك (نور) كتفها ، وهو يسألها ، محاولاً تهدئتها بابتسامة كبيرة :

ـ وماذا عنك يا عزيزتى ؟!

أدهشتهم جميعًا صرخة الألم التى أطلقتها ، وهى تهب من مقعدها بحركة حادة عنيفة ، وهتف (نور) منزعجًا :

ـ رباه ! ماذا فعلت ؟!

صاحت به ، بكل ذعر الدنيا :

ـ إنه ليس أنت .. ليس أنت .

سألها (رمزى) ، وزوجته (نشوى) تتشبث به مذعورة :

ـ ماذا حدث إذن .

زاغت عيناها ، وهى تقول :

ـ إنه .. إنه ..

ثم استدارت فجأة ، وكشفت جزءًا من كتفها ، قائلة بكل الرعب :

ـ إنه هو .

واتسعت عيونهم جميعًا فى ذهول ، وهم يحدقون فى ذلك الأثر الواضح ، فى ذلك الجزء من كتفها ..

فى أثر تلك الأصابع ، التى انغرست فيه هناك ..

فى أعماق الكابوس ..

الرهيب ..

* * *

## ٢ ـ صراع جديد ..

التقطت ( مشيرة ) نفسًا عميقًا ، فى استمتاع واضح ، وهى تجلس على شاطئ تلك القرية السياحية الجديدة ، فى مدينة ( شرم الشيخ ) ، وأسبلت جفنيها فى استرخاء ، قائلة :

ـ يالها من إجازة رائعة !

ابتسم ( أكرم ) ، الجالس إلى جوارها ، وغمغم فى هدوء :

ـ هذا صحيح .. الطقس رائع ، والهواء منعش ، وكل شىء ممتع للغاية ، فلا ينقصنا سوى الرقـ ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، فانعقد حاجباها ، واعتدلت فى مجلسها بحركة حادة ، وهى تقول :

ـ لاينقصنا سوى ماذا ؟!

داعب ذقنها بسبّابته وإبهامه ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ أيمكن أن ينقصنى شىء ، عندما تكونين إلى جوارى ؟!

هتفت :

ـ لن يخدعنى هذا .

ضحك ، وهو يميل نحوها ، متسائلاً فى مرح :

ـ ما الذى يمكن أن يخدعك إذن ؟!

مالت نحوه ، وقالت فى صرامة :

ـ ما الذى تشعر بأنه ينقصك هنا ؟!

هز كتفيه ، قائلاً :

ـ مادمت قد بدأت الشجار ، فلم يعد هناك ما ينقصنا يا عزيزتى .. الآن فقط أشعر وكأننا فى منزلنا .

انعقد حاجباها فى غضب ، وهمت بالصراخ فى وجهه ، و ....

ولكن فجأة ، اختفى كل شىء من حولها ..

كل شىء ..

الشاطئ ..

والرمال ..

والبحر ..

والسماء ..

و( أكرم ) نفسه ..

كل شىء تلاشى دفعة واحدة ..

حتى الضوء ..

بغتة أحاط بها ظلام دامس رهيب ..

وصمت مطبق ..

وبكل رعب الدنيا ، انتفض جسدها ، وحاولت أن تطلق صرخة هائلة ، تحمل كل مشاعرها وانفعالاتها ..

حاولت ..

وحاولت ..

وحاولت ..

ولكن كل صرخاتها وانفعالاتها اختنقت فى حلقها ، الذى غص بها فى عنف ، فسعلت فى قوة ، قبل أن تتسع عيناها فى ارتياع ، وهى تحدق فى بصيص من الضوء ، ظهر من بعيد ..

بعيد جداً ..

وعلى ذلك البصيص من النور ، لمحته ..

لمحت ذلك الشخص الجالس القرفصاء ، فى وضع ثابت جامد ، وكأنه تمثال من الرخام البارد ..

وفى جزء من اللحظة ، استعاد عقلها ذكريات قريبة ..

قريبة جداً ..

وانتفض جسدها بمنتهى الرعب ..

واتسعت عيناها أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وباستماتة ، حاولت أن تبتعد ..

أن تفر ..

أن تنقذ نفسها ..

ولكن ذلك الجالس القرفصاء كان يقترب منها ..

ويقترب ..

ويقترب ..

كان جالساً ، فى الوضع نفسه ، وعيناه مغلقتان ، ولكن جسده ينزلق نحوها بسرعة مخيفة ..

وكلما اقترب منها ، كان جسدها ينتفض ..

وينتفض ..

وينتفض ..

ومرة أخرى حاولت أن تصرخ ..

حاولت أن تنطلق هاربة ..

أن تبتعد بقدر المستطاع ..

ولكن كل شىء فيها كان مجمداً ..

ثقيلاً ..

ملتصقاً بالفراغ من حولها ..

كل شىء ..

لذا فقد أطلقت لدموعها العنان ..

دموع القهر ..

والمرارة ..

والرعب ..

أما ذلك الجالس القرفصاء ، فقد راح يقترب أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ومع اقترابه ، راحت ملامحه تتضح ..

وتتضح ..

وتتضح ..

وهتفت هى ، والرعب يقطر من كلماتها :

ـ لا .. مستحيل ! إنه ليس أنت !

اعتدل واقفًا فجأة ، على نحو مستحيل عمليًا ، وهو يقول ، بصوته العميق المخيف :

ـ بل هو أنا .

صاحت :

ـ ولكنك مت .

انطلقت من حلقه ضحكة رهيبة ، قبل أن يميل نحوها ، قائلاً :

ـ أهذا ما تتصورينه ؟!

تراجعت هاتفة :

ـ أنت مت .. مت .. مت .

اعتدل ، ليطلق ضحكة وحشية أخرى ، ويقول :

ـ ليس بهذه السهولة .. التخلُّص منى ليس أبدًا بهذه السهولة .

قالها ، وهو يمد أصابعه نحوها ..

أصابعه الطويلة ، النحيلة ، المعروقة ..

وبكل رعب ونفور الدنيا ، صرخت :

ـ لا .. كلنا نعلم أنك قد مت .. كلنا .

أمسك معصمها بأصابعه الباردة كالثلج فجأة ، وهو يميل نحوها ، قائلاً بصوت رهيب ، جمَّد الدم فى كل ذرة من كيانها :

ـ خطأ .. كلكم على خطأ .

شعرت بألم رهيب .. من ملمس أصابعه ، فصرخت ، وهى تضربه بذراعها الأخرى !

ـ لا .. ابتعد عنى .. ابتعد عنى .

« ( مشيرة ) .. ماذا أصابك ؟! »

انتفض جسدها بمنتهى العنف ، وفتحت عينيها عن آخرهما ، وهى تحدق فى وجه زوجها ( أكرم ) ، الذى حمل دهشة العالم كله ، وهو يمسك يدها ، مستطردًا :

- ماذا حدث ؟!

حدقت فيه بمنتهى الرعب ، واتسعت عيناها أكثر وأكثر ، وهى تديرهما فى كل ما حولها ..

فى الشاطئ ..

والرمال ..

والبحر ..

وفى وجهه هو ..

ثم انهارت فجأة ، وهى تلقى نفسها بين ذراعيه ، هاتفة :

- لا مستحيل ! مستحيل !

ضمها إليه ، فى حنان جزع ، وهو يقول :

- ماذا حدث يا ( مشيرة ) ؟! رباه ! هل أثرت غضبك إلى هذا الحد ؟!

بكت على كتفه فى حرارة ، وجسدها يرتجف بين ذراعيه ، كطير وليد مبتل ، فهتف بها ، وقد شمله هلع شديد :

- ماذا حدث يا ( مشيرة ) ؟! ماذا حدث يا حبيبتى ؟!

تراجعت بحركة حادة ، وحدقت فيه بكل رعب الدنيا ، وهى تقول :

- لقد عاد يا ( أكرم ) .. عاد .

انتفض قلبه بين ضلوعه فى قوة ، وهو يسألها :

- عاد ؟! من الذى عاد يا ( مشيرة ) ؟!

اتسعت عيناها على نحو مخيف ، وهى تجيب :

- هو يا ( أكرم ) .. هو .

ثم أشارت إلى رأسها ، مستطردة ، فى لهجة أقرب إلى الانهيار :

- الذى غرس نفسه هنا .

أدرك على الفور ما تعنيه ، واتسعت عيناه عن آخرهما بدوره ، ووجد نفسه يهتف :

- مستحيل !

كم تمنى لحظتها لو أنه يحمل مسدسه على الشاطئ ، وهو يكمل فى عصبية متوترة :

ـ لقد قتلته بنفسى .. أطلقت النار على رأسه ، و ...

قاطعته ، وجسدها ما زال يرتجف فى عنف :

ـ على أى رأس منهما ؟!

التقى حاجباه فى شدة ، وأثار سؤالها فى أعماقه مزيجًا من الغضب والتوتر والقلق ، فقال فى عصبية :

ـ لقد قتلته .. الكل يعلم هذا .

عادت تسأله مرتجفة :

ـ أنت واثق ؟!

ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يقول فى حدة :

ـ أى سؤال هذا ؟!

صاحت فى حدة أكثر :

ـ السؤال الذى يفزعنى ، بعدما حدث الآن يا ( أكرم ) .. لقد رأيته منذ لحظات .. لقد واجهنى وسط ظلام دامس ، وامسك معصمى بأصابع كالثلج ، و ...

قاطعها بمنتهى العصبية :

ـ هذا أمر يحتاج إلى استشارة خبير نفسى مثل ( رمزى ) ، فربما يكون ما حدث مجرد انعكاس لـ ....

صرخت لتبتر كلماته بغتة ، فهتف بها :

ـ ماذا حدث ؟!

رفعت معصمها أمامه ، صائحة فى رعب هائل :

ـ وأى خبير يحتاج إليه أثر كهذا ؟!

اتسعت عيناه مرة أخرى ، وهو يحدق فى معصمها ، الذى حمل أثرًا واضحًا لأصابع نحيلة طويلة ، قبضت عليه بشدة ..

ومرة أخرى ، انتفض كيانه كله ، بغضب هادر ، وثورة بلا حدود ..

ثورة ، جعلته يتمنى أكثر ، لو أن مسدسه فى قبضته الآن ؛ لينسف رأس ذلك الوغد الرهيب مرة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

وبكل ما يعتمل فى أعماقه ، نهض قائلاً :

ـ سنعود إلى ( القاهرة ) .

هتفت فى انهيار :

ـ وما الفارق ؟! إنه فى كل مكان .

صاح بكل الغضب والصرامة :

ـ لقد قتلته .

قالت ، ودموعها تغرق عينيها :

ـ كيف عاد إذن ؟!

صمت بضع لحظات ، وهو يدير الأمر فى رأسه ، وتطلَّع مرة أخرى إلى آثار الأصابع النحيلة على معصمها ، قبل أن يقول ، فى غضب صارم عنيف :

ـ لقد كنت على حق منذ البداية .. ماينقصنا هو الرفاق .

ودفنت هى وجهها فى صدره ، ودموعها مازالت تنهمر ، وجسدها يواصل ارتجافاته القوية ..

فمهما قال أو فعل ..

ومهما تعارض العقل والمنطق ، كانت واثقة من أن الخطر لم ينته بعد ..

وأنه قد عاد ..

عاد ليشعل صراعًا جديدًا ..

ورهيبًا ..

إلى أقصى حد ..

* * *

« إنها ليست خيالات أو كوابيس بالتأكيد .. » ..

نزع الدكتور ( محمد حجازى ) ، كبير الأطباء الشرعيين منظاره الطبى ، وهو ينطق العبارة برصانته المعهودة ، بعد أن انتهى من فحص الآثار ، على كتف ( سلوى ) ومعصم ( مشيرة ) ، ثم مطَّ شفتيه ، وهزَّ رأسه ، مستطردًا فى اهتمام :

ـ ماترونه أمامكم عبارة عن كدمات ضغطية ، أى تجمعات دموية ، ناشئة عن تهشُّم الأوعية الدموية الدقيقة ، إثر ضغط شديد ، على منطقة محدودة ، وكمعظم الكدمات الضغطية ، تترك الجسم المستخدم أثرًا يدل على طبيعته ، تمامًا كما نرى أثر شبكة مبرِّد السيارات القديمة ، على جسد الشخص الذى

تصطدم به .. وفى حالتنا هذه ، يبدو من الواضح أن الكدمات ناشئة عن أصابع نحيلة ، طويلة ، وبالغة القوة .

هتفت (مشيرة) بوجه ممتقع :

- إذن فقد عاد .

رمقها الدكتور (حجازى) بنظرة صامتة ، قبل أن يسأل فى اهتمام :

- أأنتم واثقون من أن هذا لم يحدث بسبب خطأ ما .. أو ...

قاطعه (أكرم) ، فى عصبية واضحة :

- (مشيرة) كانت تجلس إلى جوارى ، على شاطئ مدينة (شرم الشيخ) ، عندما ظهرت هذه الآثار على معصمها بغتة ، بعد أن شردت لبضع ثوان .

ثم أشار بسبابته ، مضيفًا فى حدة :

- ودون أن تغادر موقعها .

ارتفع حاجبا الدكتور (حجازى) لحظة ، ثم عادا ينخفضان ، وتراجع فى مقعده فى بطء ، وراح يداعب منظاره الطبى بين أصابعه ، وهو يقول :

- أمر عجيب ! عجيب بحق !

قال (نور) فى حزم :

- ولكنه ترك آثارًا مادية واضحة يا دكتور (حجازى) ، وهذا يحتم علينا البحث عن تفسير منطقى له .

أشار الدكتور (حجازى) إلى الآثار الواضحة ، على معصم (مشيرة) ، وهو يتساءل :

- وأى تفسير منطقى لأمر كهذا ؟!

شدّ (نور) قامته ، وقال بحزم أكبر :

- هناك حتمًا تفسير منطقى ، لأى شىء فى الوجود .. ربما يتجاوز حدود إدراكنا ، فى لحظة ما ، أو زمن ما ؛ فقط لأننا نجهل قواعده وقوانينه ، إلا أنه يظل منطقيًا ، وفقًا لمقتضيات الطبيعة نفسها ..

والتقط نفسًا عميقًا ، ليتابع فى صرامة :

- فى العصور القديمة كان البرق يفزعهم ، والإعصار يبدو لهم كغضب من الآلهة ، لأنهم كانوا يجهلون قوانين الطبيعة ، وطبيعة الكهربية الاستاتيكية ، وقواعد اختلاف الضغط الجوى ، وتحرك موجات الحرارة والرياح ، ثم تعلموا كل هذا ، وأدركوه ، وتلاشى خوفهم ، وتحوّل إلى فضول ، وشغف ، ولهفة أكثر وأكثر إلى المعرفة .

قال (رمزى) فى حماسة :

ـ أفهم جيدًا ما تعنيه يا (نور) ، فما يبدو لنا اليوم كظاهرة غامضة فوق طبيعية ، قد يتحوّل فى الغد إلى أمر طبيعى تمامًا ، لو أدركنا قواعده وقوانينه ، والعوامل التى تحكمه فى الطبيعة .

أشار (نور) بسبّابته ، قائلاً :

ـ بالضبط .

هزّ (أكرم) رأسه ، قائلاً فى حدة :

ـ عظيم .. وحتى نتوصّل إلى العوامل والقواعد والقوانين واللوائح ، هل يضمن لى أحد حدوث هدنة ما ، بيننا وبين ذلك الوغد ، الذى عاد من عالم الموت ، ليبث فينا الرعب والفزع من جديد .

اعتدل الدكتور (حجازى) بحركة حادة ، فى حين قال (نور) فى صرامة :

ـ لا أحد يعود من الموت يا (أكرم) .

وقالت (سلوى) فى توتر :

ـ ربما هو شخص آخر .

هتفت (مشيرة) :

ـ مستحيل ! إنه يعرف من نحن .

كرّر (نور) ، بمنتهى الصرامة :

ـ الموتى لا يعودون .

قال (أكرم) فى عصبية ، وهو يضمّ زوجته (مشيرة) إليه ، وكأنما يخشى أن يفقدها فى أية لحظة :

ـ كيف تفسرون ما حدث إذن ؟!

كرّر (نور) بمنتهى الصرامة :

ـ هناك تفسير ما حتمًا .

هزّت (مشيرة) رأسها ، قائلة فى توتر شديد :

ـ أريد تأكيدًا .

سألها (رمزى) :

ـ لأى شىء ؟!

صاحت ، وهى تلوّح بذراعيها فى انفعال :

ـ لأنه قد لقى مصرعه .

تفجرت صيحتها فى المكان ، فانطلقت بعدها موجة رهيبة من الصمت ، أحاطت بكل شىء ، وغلفت كل المشاعر ..

ووسط ذلك الصمت ، أدار الكل عيونهم ، فى وجوه بعضهم ، قبل أن تقول (مشيرة) فى عصبية :

- (أكرم) أطلق النار على رأسه ، وكلكم رأيتموه ساقطًا ، والدماء تنزف منه ، ولكن ماذا عن موته ؟! ألم يحدث قط ، أن أصيب شخص ما فى رأسه ، ثم نجا من الموت ، على نحو أو آخر ؟!

التفت الكل إلى الدكتور (حجازى) ، وكأنهم يسألونه الجواب ، فتنحنح ، مغمغمًا فى توتر :

- لاشىء مستحيل ، فى عالمنا هذا ، ولكن الاحتمالات ضئيلة للغاية ، مع إصابة مباشرة ، فى منتصف الجبهة ؛ فهذا كفيل بأن ينتهك المخ ، و ...

قاطعته (مشيرة) فى عصبية :

- تذكر أننا لانتحدث عن شخص له مخ واحد .. بل عن مسخ له مخ مزدوج .

انعقد حاجبا الدكتور (حجازى) مرة أخرى ، فسأله (نور) فى قلق :

- ما تقوله (مشيرة) منطقى .. أليس كذلك ؟!

تراجع الدكتور (حجازى) فى مقعده ، دون أن يجيب ، فتساءل (رمزى) فى قلق :

- دكتور (حجازى) .. أنت من فحص جثة ذلك المسخ ، واستخرج تقرير مصرعه .. أليس كذلك ؟!

صمت الدكتور (حجازى) بضع لحظات ، قبل أن يجيب ، فى صرامة واقتضاب :

- كلا .

بدت الدهشة على وجوههم جميعًا ، وقال (نور) فى توتر :

- سيدى .. وفقًا للتقارير الرسمية ، تم نقل جثة ذلك المسخ إليك مباشرة ، فور الـ ...

قاطعه الدكتور (حجازى) فى صرامة :

- ليس جثته .

ثم عاد يعتدل فى مقعده ، مضيفًا بكل الحزم :

ـ فعندما وصل ذلك الشىء إلى هنا ، لم يكن جثة هامدة .. بل كان على قيد الحياة .

واتسعت العيون عن آخرها ..

وخفقت القلوب بمنتهى العنف ..

فما صرَّح به الدكتور ( محمد حجازى ) ، فى تلك اللحظة ، كان مفاجئًا ومذهلاً ، ومخيفًا بحق ..

وبكل المقاييس .

* * *

## ٣ ـ نتائج الفحص ..

كانت الأمور كلها مشتعلة ، والمشاعر كلها قد بلغت ذروة الالتهاب ، فى ذلك اليوم ، الذى أطلق فيه ( أكرم ) النار ، على رأس ذلك الخصم الرهيب ..

القوات الخاصة شنت حربًا محدودة ، فى أرقى أحياء ( القاهرة ) الجديدة ..

مبنى المخابرات العلمية انهار ..

ومبنى إدارة الأبحاث ، التابع له ، انسحق سحقًا ..

والعالم كله صار قاب قوسين أو أدنى من النهاية ..

نهاية حريته ..

وكرامته ..

ومستقبله ..

ثم فعلها ( أكرم ) ..

أطلق النار ، ونسف رأس الخصم الرهيب ..

وانتهت الملحمة فجأة ..

ملحمة عقل جبار ، انتهت برصاصات تقليدية ، عادية ، بسيطة ..

وفى ذلك اليوم ، هرع الدكتور ( محمد حجازى ) ، كبير الأطباء الشرعيين ، إلى مختبره ، استجابة لاستدعاء خاص للغاية ، من رئيس الوزراء شخصياً ؛ لفحص جثة ذلك المسخ ، وإصدار تقرير واف بشأنه ..

وفى سيارة خاصة مجهزة ، محاطة بحراسة قوية مشددة ، وصل جسد ذلك المسخ إلى المشرحة ..

وكما يحدث فى مثل هذه الأحوال ، أحاط رجال الأمن بالمكان ، إحاطة السوار بالمعصم ، وتم تشغيل كل آلات الرصد والمراقبة ؛ لتسجيل عملية الفحص لحظة فلحظة ، ودلف الدكتور ( حجازى ) إلى المكان ، مع طبيب مساعد شاب ، وارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يلقى نظرة أولى على الجسد ، قائلاً :

ـ رباه ! أى شىء هذا ؟!

بدا الطبيب الشاب شديد الانفعال ، وهو يقول :

ـ جمجمة مزدوجة ، وعين ثالثة فى منتصف الجبهة ؟! هذه حالة لم تسجلها كل مراجع الطب ، التى عرفتها البشرية ، عبر تاريخها كله .

غمغم الدكتور ( حجازى ) :

ـ لكل شىء بداية يا ولدى .

ثم ضغط زر جهاز التسجيل التقليدى البسيط ، الذى يحتفظ به دوماً ، وقال وهو يفحص الجسد المسجى أمامه ببصره :

ـ بالفحص الظاهرى ، يبدو أن الجسد لذكر ، فى أواخر الثلاثينات أو أوائل الأربعينات ، ما بين الملامح الشرقية والقوقازية ، وجسده كله يبدو طبيعياً متناسقاً ، يميل إلى النحول والقوة بعض الشىء ، فيما عدا الرأس .

غمغم الطبيب الشاب :

ـ هل تسمى هذا رأساً عادياً ؟!

أشار إليه الدكتور ( حجازى ) بالصمت فى صرامة ، وهو يواصل :

ـ الجمجمة مزدوجة ، تبدو أشبه بالمشقوقة من منتصفها ، على نحو غير مسجل ، فى أية مراجع طبية أو علمية ، وفى منتصف الجبهة تماماً ، توجد عين إضافية ثالثة ، أكبر قليلاً من العينين الطبيعيتين ، وفوقها مباشرة ، وإلى اليسار

منها ، توجد ثلاثة ثقوب .. مداخل رصاصات ، اخترقت الجمجمة من مسافة تتراوح بين المترين والأربعة أمتار ، وتوجد آثار بارود غير دخانى ، على بعض أطراف الوجه والجبهة ، و ...

بتر عبارته ، عندما هتف الطبيب الشاب فجأة ، بصوت مرتجف مذعور :

ـ يا إلهى !

استدار إليه الدكتور ( حجازى ) ، متسائلاً فى قلق :

ـ ماذا هناك ؟!

أشار الطبيب الشاب إلى جسد المسخ ، وهو يتراجع عن منضدة الفحص ، قائلاً فى توتر شديد :

ـ لقد تحرك .

ابتسم الدكتور ( حجازى ) ، وارتدى قفاز الفحص المطاطى ، وهو يقول :

ـ ما حدث ليس حركة إرادية يا ولدى ، ولكنه اختلاف درجات الحرارة للجثة ، هو الذى ..

قاطعه الطبيب الشاب ، وهو يتراجع أكثر :

ـ أنا أعرف هذا .

بدا الضيق على وجه الدكتور ( حجازى ) ، لما يحمله هذا من تعارض ، مع كل قواعد الذوق واللياقة ، وآداب التعامل بين الأستاذ وتلميذه ، وهم بالتعبير عن هذا الضيق ، لولا أن تابع الطبيب الشاب ، فى ذعر واضح ، وهو يبتعد عن منضدة الفحص أكثر وأكثر :

ـ ولكن ما حدث يختلف .

ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يضيف مرتجفاً :

ـ لقد حاول إمساك معطفى .

انعقد حاجبا الدكتور ( حجازى ) فى شدة ، وهو يحدّق فى الطبيب الشاب مستنكراً ، قبل أن يدير عينيه مرة أخرى ، إلى الجسد المسجى أمامه ، و ...

وانتفض جسده فى عنف ..

ففى هذه المرة ، وعلى عكس المرة السابقة ، كانت تلك العين الثالثة ، فى منتصف جبهة ذلك المسخ الرهيب ، مفتوحة ..

وكانت تحدّق فيه ..

مباشرة ..

وبحركة أشبه بمن أصابته صاعقة ، تراجع الدكتور (حجازى) ، عن مائدة الفحص ، وهو يهتف :

ـ مستحيل !

صاح به الطبيب الشاب ، وهو يلتصق بالجدار فى رعب :

ـ ألم أقل لك ؟!

لم ينبس الدكتور (حجازى) ببنت شفة ، وهو يحدق ذاهلاً فى جسد ذلك المسخ ، وفى عينه الثالثة ، فى منتصف جبهته ، والتى مالت فى بطء ، لتترصده وذلك الطبيب الشاب ، فى نفس الوقت الذى بدأت فيه الحرارة تدب نسبيًا فى الأطراف ، فتحركت الأصابع ، وبدأت عروق العنق تنبض ثانية ..

وبكل رعب الدنيا ، غمغم الطبيب الشاب :

ـ لقد .. لقد عاد إلى الحياة .

أجابه الدكتور (حجازى) فى صرامة :

ـ لا أحد يعود من الموت .. الله (سبحانه وتعالى) وحده يحيى الموتى بإرادته .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف ، وقد بدأت عقليته العلمية تطلق فى عروقه ذلك الفضول الإيجابى ، الذى يزيح فى المعتاد كل المشاعر الأخرى جانبًا :

ـ إننا أمام ظاهرة فريدة .. ظاهرة تستحق الدراسة .

غمغم الطبيب الشاب :

ـ معذرة يا دكتور (حجازى) .. اغفر لى ذعرى ومخاوفى .

ثم اندفع فجأة ، نحو باب حجرة الفحص ، مستطردًا :

ـ ولكننى لا أستطيع البقاء هنا .

هتف به الدكتور (حجازى) معترضًا :

ـ أحتاج إلى من يعاوننى فى فحص هذه الظاهرة .

توقف الطبيب الشاب عند باب الحجرة ، وألقى نظرة رعب أخرى على ذلك المسخ ، الذى ظلت عيناه العاديتان مغلقتين ، فى حين راحت عينه الثالثة ترصد كل ما حولها فى توتر ، وأطرافه تستعيد نشاطها رويدًا رويدًا ، ثم قال بكل عصبيته وذعره ومخاوفه :

ـ ليس أنا بالتأكيد .

ثم وثب خارج المكان ، هاتفًا :

ـ افحصها وحدك هذه المرة .

ارتفع حاجبا الدكتور ( حجازى ) ، فى دهشة مستنكرة ، ثم عادا ينعقدان فى ضيق ، وهو يلتفت إلى ذلك المسخ ، الذى بدا من الواضح أنه يحاول استعادة السيطرة على جسده تدريجيًا ، على الرغم من إصابة دماغه البالغ ..

وعلى الرغم من الخوف ، الذى سرى فى عروق الدكتور ( حجازى ) ، راح فضوله العلمى يتصاعد ويتصاعد ، حتى أزاح مشاعره كلها جانبًا ، ودفعه إلى أن يعاود الاقتراب من منضدة الفحص ، قائلاً عبر جهاز التسجيل الرقمى :

ـ فى مفاجأة غير متوقعة ، دب النشاط فى الجسد المعد للفحص ، على الرغم من أن إصابات الرأس ، التى نسفت مؤخرة الجمجمة ، وأخرجت بعض أجزاء متهتكة من المخ ، تحتم حدود الوفاة ، أو العجز الكلى الشامل على الأقل ..

وصمت لحظة ، وهو يدير عينيه فى جسد المسخ ، ثم توقف عند العين الثالثة ، التى تطلعت إليه مباشرة ، وكرر عبر جهاز التسجيل :

ـ من الواضح أننا أمام ظاهرة غير تقليدية ، وغير مألوفة ، وغير مسجلة أيضًا ، فى أية مراجع طبية أو علمية سابقة .. بل وغير ممكنة طبيًا أو علميًا ، ولكنها تستند إلى تفسير علمى ومنطقى تمامًا .

مرر سبابته أمام تلك العين الثالثة ، وتأكد من أنها تتابعه فى اهتمام واضح ، قبل أن يتابع :

ـ من الواضح أن وجود مخ مزدوج ، فى حالة طفرة وراثية غريبة ، هو المسئول عن هذه الظاهرة ، فالرصاصات ، التى أصابت منتصف الجبهة ، فوق العين الثالثة مباشرة ، اخترقت الجزء العلوى من أحد المخين ، الذى يبدو أنه أكبر حجمًا ـ نسبيًا ـ من الآخر ، وأنه يتجاوز الخط الوهمى لمنتصف الجبهة ، مما أدى إلى تهتكه تمامًا ، فى حين بقى نصف المخ الآخر ، الأقل حجمًا ، سليمًا من الناحية الطبية أو التشريحية .. ولأن المخين يرتبطان بمخيخ واحد ، وحبل شوكى واحد ، ولأن الجسد قد اعتاد التعامل مع كليهما فى آن واحد ، فإن غياب النصف الأكبر فجأة ، قد أدى إلى غيبوبة تامة ، وانخفاض شديد فى المعدلات الحيوية ، بدا للفحص المبدئى فى موقع الإصابة ، أشبه بالوفاة ، إلا أن النصف الآخر ، بعد اعتياده غياب النصف المهيمن ، قد بدأ يقتبس سماته ، أو قدراته على إدارة الأمور ، وهو الآن ، فى ساعة الفحص وتاريخه ، يتدرب على استعادة السيطرة على كامل الجسد منفردًا .

وصمت مرة أخرى ؛ ليتابع حركة الأطراف ، التى تتحسن تدريجياً ، قبل أن يضيف فى توتر ملحوظ ، وقلق واضح :

- ويبدو أنه لن يمضى وقت طويل قبل أن ينجح فى هذا .

« إذن فهو حى .. »

هتف ( أكرم ) بالعبارة ، بكل توتر الدنيا ، لينتزع الدكتور ( محمد حجازى ) من أفكاره وذكرياته ، ويقطع حديثه المتصل ، فاستدار إليه هذا الأخير ، وهو يقول ، فى حذر أدركه الجميع فى وضوح :

- إننى أقصّ عليكم ما حدث يومئذ .

قالت ( سلوى ) فى حدة :

- المهم أنه حى .

بدا التردد على الدكتور ( حجازى ) ، وهو يقول ، فى حذر زائد :

- ربما .

سأله ( نور ) ، فى شىء من الصرامة :

- وما الذى تعنيه كلمة ( ربما ) هذه هنا يا دكتور ( حجازى ) ؟! أنت الطبيب الذى أجرى الفحص ، ووحدك يمكنك أن تحسم هذا الأمر فى وضوح .

التقط الدكتور ( حجازى ) نفساً عميقاً ، وتراجع فى مقعده فى بطء ، وبدا عليه توتر شديد ، وهو يجيب :

- ليس بالضرورة .

سأله ( رمزى ) فى اهتمام قلق :

- ما الذى يعنيه هذا ؟!

تردد الدكتور ( حجازى ) بضع لحظات أخرى ، ثم أجاب فى عصبية :

- الواقع أننى لم أكمل عملية الفحص .

اتسعت عيونهم فى دهشة ، وتبادلوا نظرة شديدة التوتر ، انكمشت ( مشيرة ) بعدها ، بين ذراعى زوجها ، وهى ترتجف فى ارتياع :

- يا إلهى ! يا إلهى !

وهتفت ( نشوى ) ، فى توتر بالغ :

- دعنى أخمن ما حدث .. لقد استخدم قواه العقلية الجبارة ، و ....

قاطعها الدكتور (حجازى) فى توتر :

- لم يكن باستطاعته هذا .

سأله (نور) فى اهتمام :

- ولِمَ لا ؟!

أجابه فى سرعة ، وبلهجة لم يفارقها التوتر :

- قواه العقلية الجبارة كانت تنشأ من قدرات مخه المزدوج ، على الترابط والتآزر ، وإطلاق كل الطاقات الكامنة فى الجسد ، ومع إصابة المخ الأكبر حجمًا ، وتهتكه تمامًا ، كان من المستحيل أن يستعيد قواه الجبارة ، بأى حال من الأحوال .

هتفت (نشوى) :

- ولكنك قلت إنه سيستعيد سيطرته على جسده حتمًا ، مع مرور الوقت .

أشار بسبابته ، مجيبًا إياها ، فى حزم متوتر :

- على جسده ، وليس على قدرات عقله .

أشارت (مشيرة) إلى معصمها ، وهى تهتف فى غضب :

- وماذا عن هذه الآثار ؟! ألا تعنى أنه قد تجاوز حتى قدراته العقلية السابقة ؟! لاحظ أنه لم يكن باستطاعته أن يفعل هذا ، عندما كان بكامل قوته .

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه ، قائلاً فى عصبية :

- لا يمكنك الجزم .

همّت (مشيرة) بالصراخ فى وجهه محتجة ، ولكن (نور) استوقفها بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول للدكتور (حجازى) :

- سيؤدى .. هذه ليست مشكلتنا الآن ، فربما كان هذا باستطاعة ذلك المسخ فيما مضى ، ولكنه لم يستخدمه ، أو يلجأ إليه فحسب ، ولكن السؤال الآن هو : لماذا لم تكمل فحص جسده ، بعد أن استعاد مخه الآخر وعيه بالفعل ؟!

نقل الدكتور (حجازى) بصره بينهم ، فى توتر شديد ، قبل أن ينخفض صوته ، على نحو لا يناسب شخصيته ، وهو يغمغم :

- لا .. لا يمكننى أن أخبركم .

تساءلت (سلوى) فى توتر :

- ولِمَ لا ؟!

تردد كبير الأطباء الشرعيين بضع لحظات أخرى ، وانخفض صوته أكثر وأكثر ، وهو يتمتم :

ـ لقد أقسمت .

بدت دهشة عارمة على وجوههم جميعًا ، وتساءل ( نور ) فى حذر :

ـ أقسمت على ماذا ؟!

أجابه الدكتور ( حجازى ) ، فى توتر بالغ :

ـ على أن أحفظ السر .

هتفت ( مشيرة ) فى لهفة :

ـ أى سر ؟!

حدق الدكتور ( حجازى ) فى وجهها ، بنظرة أقرب إلى الارتياع ، قبل أن يهز رأسه فى قوة ، هاتفًا :

ـ لا .. لايمكننى أن أخبركم .

سأله ( نور ) فى حزم واضح :

ـ أقسمت لمن .

امتقع وجه الدكتور ( حجازى ) ، على نحو عجيب ، وهو يقول :

ـ ( نور ) .. أرجوك .. أن تعرف التزامى الأمنى ، وتدرك أنه ليس باستطاعتى أن ..

قاطعه ( أكرم ) ، بغضب هادر ، واستنكار بالغ :

ـ ليس باستطاعتك ؟! ليس باستطاعتك ماذا يا دكتور ( حجازى ) ؟! إننا نواجه خطرًا ، لاقبل لنا به ، وعدوًا نلقى منه ويلات ، تفوق ويلات الاحتلال نفسه(*) .. ألم تر ما فعله بنا ، فى صراعنا السابق ؟! ألم تشاهد بنفسك حطام مبنى المخابرات العلمية ، أو مركز الأبحاث التابع له ؟! ألم تفحص بنفسك جثث الضحايا ، الذين سيطر على عقولهم ، وأجبرنا على القضاء عليهم ، أو أجبرهم على قتل أنفسهم ، دون ذرة واحدة من الرحمة أو الشفقة ؟! ألا يمكنك أن تتخيل ما يمكن أن يحدث ، لو أنه عاد مرة أخرى ، بكل قوته وقدراته ، وكل شروره وشيطانيته ، لينتقم منا ، أو من العالم الذى هزمه ؟!

غمغم الدكتور ( حجازى ) ، بكل توتر الدنيا :

ـ لايمكنه أن يعود .

---

(*) راجع قصة ( الاحتلال ) .. المغامرة رقم ( ٧٦ ) .

أشارت (سلوى) إلى كتفها، قائلة فى حدة :

ـ ولكنه عاد بالفعل .

هز كبير الأطباء الشرعيين رأسه، قائلاً :

ـ ربما هناك تفسير آخر .

هتفت (نشوى) :

ـ وربما هذا هو التفسير الوحيد .

هتف الدكتور (حجازى) ، محاولاً الدفاع عن نفسه :

ـ ما زلنا عند كلمة (ربما) .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ دعنا نحسم الأمر إذن .

تساءل الدكتور (حجازى) ، فى حيرة متوترة، ووجه يدعو إلى الإشفاق والتعاطف :

ـ وكيف ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ بالمعلومات .

صمت الكل تماماً، بعد جوابه هذا، وأدار الدكتور (محمد حجازى) عينين زائغتين، فى وجوههم جميعاً، دون أن ينبس ببنت شفة، وإن أنبأتهم ارتجافة شفتيه بأن كلمات (نور) قد أصابت هدفها بدقة، لذا فقد تابع هذا الأخير فى حزم مهذب :

ـ لايمكنك أن تواجه العدو .. أى عدو، دون أن تكون لديك معلومات كافية عنه، وإلا فأنت أشبه بالأعمى، الذى يطارد فريقاً من المبصرين .. المعلومات هى سلاحنا الوحيد، للكشف عن طبيعة عدونا، وهويته، ونقاط قوته وضعفه، والأسلوب الأمثل لمواجهته، وللقضاء عليه أيضاً، إذا ما حتمت الظروف هذا .

تمتم الدكتور (حجازى) ، فى خفوت شديد :

ـ لايمكننى أن أمدكم بكل هذا .

أجابه (أكرم) ، وهو يكتم غضبه بصعوبة :

ـ امنحنا ما لديك إذن .

بدت حيرة شديدة التوتر، على وجه الدكتور (حجازى) ، الذى راح يحك ذقنه فى عصبية شديدة، جعلت (رمزى) يقول، محاولاً تهدئته :

ـ لا تنس أننا رجال مخابرات علمية ياسيدى .

أشار الدكتور (حجازى) إلى (مشيرة) ، وهو يجيب فى سرعة :

ـ هى ليست كذلك .

تراجعت (مشيرة) بحركة حادة كالمصعوقة ، وهى تهتف فى غضب شديد :

ـ ماذا تقصد ؟! هه .. ماذا تقصد بقولك هذا ؟!

اعتدل الدكتور (حجازى) ، وقال فى صرامة شديدة ، وعصبية واضحة بالغة :

ـ سأخبر (نور) وحده .

ثم استدرك ، وهو يلوّح بسبُابته ، فى وجوههم جميعًا :

ـ من أجل صالحكم جميعًا .

وقبل أن ينبس أحدهم ، استدار إليهم (نور) ، قائلاً بلهجة آمرة صارمة ، تحمل لمحة من القسوة :

ـ انتظرونا فى الخارج .

احتقن وجه (مشيرة) ، وهمت بأن تقول شيئًا ، ولكن (أكرم) أمسك ذراعها فى قوة وصرامة ، وهو يقول :

ـ هيا .. سنغادر المكان جميعًا .

احتقن وجهها أكثر ، وهى تغادر مع الآخرين ، وأغلق (نور) الباب خلفهم فى حزم ، ثم التفت إلى الدكتور (حجازى) ، قائلاً فى هدوء ، لم يخل من حزم وصرامة مهذبين :

ـ هانحن أولاء وحدنا يادكتور (حجازى) .. والآن ماذا حدث يومئذ ، ومنعك من استكمال عملية الفحص .

غمغم الدكتور (حجازى) ، وهو عاجز عن كتمان توتره البالغ :

ـ سأخبرك يا (نور) .. سأخبرك بكل شىء يا ولدى .

وأخبره بما لديه ..

وكانت قصة مذهلة ..

مذهلة بحق .

* * *

# ٤ ـ العقول ..

كالمعتاد ، منذ مئات السنين ، كان كل شىء هادئًا ، صامتًا ، ساكنًا ، ممتدًا هناك ..

فى جبال (التبت) ..

المشهد نفسه ، الذى يمكن أن تراه الآن ، وفى المستقبل ، أو حتى فى الماضى السحيق ، حتى إنه لو جاء فنان ، من القرن العاشر الميلادى ، ليراجع لوحة رسمها أيامها ، على ما أمامه فى بدايات القرن الحادى والعشرين ، لما وجد اختلافًا يذكر ، اللهم إلا فى أشكال السحب وحركتها ..

جبال عالية ..

مساحات شاسعة ..

جليد يغطى كل شىء ..

كل شىء بلا استثناء ..

حتى قمة ذلك المعبد البوذى القديم ، العريق ، المقام على قمة جبل متوسط ، يكاد يختفى بين القمم الشاهقة من حوله ..

ذلك المعبد بالتحديد ، بدا أشبه بجزء من لوحة ساكنة ، على الرغم من الدخان الخفيف للغاية ، الذى يتصاعد من مدخنته الخلفية الصغيرة ، ومجموعة الرهبان ، الذين يتشاركون فى النحول الشديد ، والرءوس الصلعاء ، والعيون المغلقة فى استرخاء ، وتلك الجلسة القرفصائية المميزة ، مع الملابس الرثة الخشنة ، التى لاتكاد تستر أجسادهم ، على الرغم من برودة الطقس الرهيبة من حولهم ، والتى بدوا وكأنهم لايشعرون بها مطلقًا ..

أو أنهم قد تحولوا إلى تماثيل جامدة ..

تماثيل من الرخام ..

أو من الثلج ..

والواقع أنهم ، فى جلستهم الجامدة الثابتة هذه ، كانوا يمارسون نوعًا من الطقوس ، التى مارسها أجدادهم ، منذ مئات السنين ..

التأمل ..

تلك الرياضة الروحية الفريدة ، التى تسمو بالعقل ، وتطلق كافة قدراته وطاقاته ، وتمنحه القدرة على ترويض الجسد ، والسيطرة حتى على كل عضلاته وأجهزته اللاإرادية ..

وفى تلك اللحظة ، التى انتقل فيها المشهد إليهم ، كانوا قد استغرقوا مايزيد على اثنتى عشرة ساعة كاملة ، فى ممارسة تأملهم هذا ..

دون توقُّف ..

أو نوم ..

أو حتى طعام ..

بل حالة من شبه اليقظة ..

وشبه الغيبوبة ..

حالة استسلمت فيها الأجساد ..

وانطلقت فيها العقول ..

انطلقت ..

وانطلقت ..

وانطلقت ..

ولن تكون هناك ذرة واحدة من المبالغة ، لو قلنا إنهم كانوا يرون ما حولهم ، دون أن يفتحوا أعينهم ..

ويلمسون كل مايحيط بهم ، دون أن يستخدموا أصابعهم ..

ويعرفون مايدور فى رءوس بعضهم ، دون أن يتحدثوا ..

أو حتى يتقاربوا ..

قدراتهم كانت هائلة بحق ..

هائلة إلى حد لايمكن تصوُّره ..

لذا ، كان من النادر أن يتحدثوا ..

من النادر جدًا ..

صلاتهم العقلية القوية جعلتهم بغير حاجة إلى الحديث ..

أو إلى أى تواصل آخر ملموس ..

تكفيهم عقولهم ..

فقط عقولهم ..

وفى جلستهم المشتركة هذه ، والتى تضمّ رهبان كل المعابد الصغيرة ، المنتشرة فى جبال ( التبت ) ، والتى تحدث مرة واحدة كل عام ، لم يكن هناك اتفاق مسبق على فترة تأمُّل بعينها ..

ولكن الكل كان يعلم متى يبدأ ..

ومتى ينتهى ..

وعلى الرغم من أن السحب الداكنة ، كانت تخفى قرص الشمس تماماً ، إلا أن أضواء الشفق ، التى تبدو من خلف قمم الجبال ، كانت تشير بوضوح إلى أنه وقت المغيب ..

الشمس اجتازت سماء ( التبت ) ..

واستعدت للرحيل ..

وفى أعماق كل منهم ، ودون أن يتبادلوا حرفاً واحداً ، أو يفتح أيهم عينيه ، أدركوا جميعاً أن عليهم الاستعداد للعودة ..

والخروج من حالة التأمل العميق ..

ومنح الجسد بعض حقوقه ..

أقل القليل منها ..

النوم ..

والطعام ..

وقضاء الحاجة ..

وهذا ما اعتادوا فعله ، فى أضيق حدود يمكن تصورها ..

أضيق مما يمكنك حتى أن تتخيل ..

ولو أن عالماً طبيعياً قام بدراسة كميات الطعام الضئيلة جداً ، التى يتناولها الواحد منهم شهرياً ، لوجد أنها لا تكفى لإطعام طفل صغير ، فى يوم واحد ، حتى إن بعض العلماء يتساءلون عن الطاقة ، التى تمد أولئك البشر بالقدرة على الحياة والاستمرار(*) ..

ولكن المدهش أنهم يكتفون بهذه الكميات الضئيلة ..

يكتفون بها تماماً ..

عقولهم سيطرت على أجسادهم ، وجعلتها قادرة على خفض معدلات الأيض ، أو التمثيل الغذائى ، إلى أدنى حد ممكن ..

وكذلك معدلات النبض ..

والتنفس ..

وكذلك إدرار العرق والبول ..

عقولهم إذن جعلت أجسادهم تكتسب قوة خاصة ..

خاصة جداً ..

قوة نجح العلم فى فهمها ..

وتفسيرها ..

---

(*) حقيقة .

ووضع قواعد وقوانين لها ..

ولكنه لم ينجح قط فى استيعابها ..

أو تطبيقها ..

أو حتى تطويعها ..

هذا لأن مثل هذه القدرة لايحتاج إلى المعرفة فحسب ..

بل يحتاج إلى الإرادة ..

والتدريب المستمر ..

إرادة من فولاذ ..

وتدريب دائم متواصل .. لاينقطع أبدًا ..

أبدًا ..

وصبر بلا حدود ..

على الإطلاق ..

وهذا ما يتميزون به جميعًا ..

وما اكتسبوه مع مرور الزمن ..

وما ملكوه من قوة ..

وعلى الرغم من عيونهم المغلقة، وأجسادهم الساكنة، فى لقائهم السنوى هذا، كانوا يدركون جميعًا أن الشمس تغيب ..

وتغيب ..

وتغيب ..

وفجأة، وبلا مقدمات، أظلمت الدنيا كلها ..

أظلمت ظلامًا دامسًا رهيبًا، انتفضت له أجسادهم فى قوة، وسرت معه، عبر أجسادهم المتجاورة، موجة من صقيع رهيب، بدا وكأنه قد تجاوز الجلود، وانغرز فى العظام مباشرة ..

ولأول مرة، ربما فى حياتهم كلها، شعر رهبان المعابد البوذية التبتية بالبرد الشديد ..

وبالخوف ..

الخوف المبهم الغامض ..

والرهيب ..

ولم يفتح أحدهم عينيه، أو يغيّر جلسته الصامتة الساكنة، ولكن عقولهم اتجهت جميعها نحو هدف واحد ..

نحو البحث عن تفسير ..

وتوضيح ..

وتقييم لما حدث ..

ولكن الظلام فى عقولهم راح يشتد ..

ويتكاثف ..

ويتكاثف ..

ويتكاثف ..

ثم ظهر فجأة ذلك العملاق ..

عملاق رهيب ، بلا ملامح ، يفوق حجمه ضعف حجم أضخمهم على الأقل ، وراح يقترب منهم ..

ويقترب ..

ويقترب ..

وعلى الرغم من أن قلوب رهبان التبت ، تختلف كثيرًا عن القلوب العادية ، فى عدد انقباضاتها ، التى لا تزيد على أصابع اليد الواحدة كل دقيقة(*) ، إلا أنها راحت تخفق ، وراحت تتسارع ..

وتتسارع ..

وتتسارع ..

---

(*) حقيقة .

فى كل خطوة ، يقترب بها العملاق منهم ، عبر جبال الجليد الهائلة ، كانت قلوبهم تخفق ..

وتخفق ..

وتخفق ..

ولكن العجيب أنه ، وعلى الرغم من كل هذا ، لم يتحرك أحدهم قيد أنمله ..

أو يفتح عينيه لحظة واحدة ..

ليس لأنهم لم يكونوا قادرين على هذا ، ولكن لأنهم يدركون أن قوتهم ، فى مثل هذه الظروف ، تكمن فى اتحادهم ..

وتآزرهم ..

وتماسكهم ..

وفى عقولهم المشتركة ، التى تتضاعف قوة كل منها ، فى وجود الآخرين ..

ولكن الأسئلة ذاتها دارت فى كل العقول ، فى آن واحد ..

من هذا ؟!

من أين جاء ؟!

ولماذا ؟!

كانوا يدركون جميعًا ، أن ما يرونه فى عقولهم ليس صورة حقيقية ..

وأنه لايوجد عملاق حقيقى يقترب منهم ..

أو حتى ظلام يحيط بهم ..

ولكنها قوة ما ..

قوة اخترقت عقولهم ..

واحتوتها ..

وسيطرت عليها ، على نحو ما ..

قوة تفوق أية قوة أخرى عرفوها ..

على الإطلاق ..

ولقد واصل ذلك العملاق ، منعدم الملامح ، الاقتراب منهم ، عبر اتصالهم العقلى ..

ثم توقف بغتة ..

توقف عندما رسمت عقولهم صورة قريبة للغاية منهم ..

صورة أظهرت ضخامته ..

وقوته ..

ورهبته ..

وأطلق العملاق ضحكة قوية ..

ضحكة لم تسمعها آذانهم ، ولكن ردتها عقولهم ..

ضحكة شامتة ..

ظافرة ..

شيطانية ..

ووحشية ..

ضحكة أعادت إليهم ذلك الشعور ، الذى لم يختبروه فى حياتهم من قبل قط ..

الخوف ..

الخوف الشديد ..

« تتساءلون طبعًا من أنا ؟! »

تردد السؤال فى عقولهم جميعًا ، فى آن واحد ، وبدا صارمًا ، ساخرًا ، ظافرًا ، على نحو رهيب مخيف ..

ولم يجب أيهم بالطبع ..

لم تجب ألسنتهم ..

ولم تجب عقولهم ..

فالواقع أنه لم يكن هناك جواب ..

أى جواب ..

السؤال نفسه، كان فى حقيقته بلا معنى ..

بلا منطق ..

وبلا جواب واضح ..

من هو ؟!

لا أحد منهم يعرف !

أو يمكن أن يعرف !

فبالنسبة لرهبان مثلهم، لا توجد أية حياة اجتماعية خارجية ..

لا أقارب ..

أو معارف ..

أو أصدقاء ..

أو حتى زوار ..

لا يوجد سوى رهبان ..

فقط الزملاء من الرهبان ..

وعبر عشرات السنين، لم يفد إلى المكان سوى غريب واحد ..

غريب واحد لا غير ..

« يبدو أنكم على وشك التذكُّر .. » ..

ترددت هذه العبارة أيضًا فى رءوسهم، بنفس الأسلوب الشامت الظافر الساخر ..

الأسلوب الوحشى ..

والشيطانى ..

وفى هذه المرة، تفجَّر الخوف فى أعمق أعماقهم أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

فهذا مستحيل !

مستحيل تمامًا ..

الغريب الوحيد، الذى جاء إليهم يومًا ما، وعاش بينهم لعقدين من الزمان، أخفى خلالهما أهدافه ونواياه، وخدع عقولهم جميعًا، ليحصل على كل خبراتهم وطاقاتهم، لم يعد له وجود، فى هذه الحياة ..

صحيح أنه كان يفوق كلاً منهم قوة ..

ولكن اتحادهم كان أقوى منه ..

وأعنف ..

وأكثر تأثيرًا ..

لذا فقد انهزم ..

واندحر ..

وانتهى تمامًا ..

هم يدركون هذا ..

عقولهم أدركته ..

وتيقنت منه ..

تمامًا ..

والموتى لايعودون إلى الحياة ..

ربما تؤمن عقيدتهم بإمكانية الاتصال بأرواحهم ، فى الحياة الأخرى ، ولكنها لا تؤمن بعودتهم قط(*) ..

لذا فلم يكن لدى رهبان (التبت) جواب ..

أى جواب ..

---

(*) حقيقة .

« لاتصدقوا كل ما قاله الأجداد .. »

عبارة أخرى ، ترددت فى عقولهم جميعًا ، بنفس اللهجة الظافرة ..

الشامتة ..

الساخرة ..

الوحشية ..

الشيطانية ..

مرة أخرى استقبلت عقولهم عبارة بثّت فى نفوسهم الخوف ، قبل أن تتواصل فى شراسة ..

« لاتصدقوا أن الموتى لايعودون .. » ..

وهنا تحوّل الخوف إلى رعب ..

رهبان (التبت) ، الذين اعتادت عقولهم وأجسادهم الهدوء والسكينة ، تفجّرت فى أعمق أعماقهم موجة من أسوأ المشاعر البشرية ..

موجة من الخوف ..

والرعب ..

والضعف أيضًا ..

نعم .. الضعف ، فى مواجهة أمر ، أيقنوا دومًا باستحالته ..

ثم إن الأمر لم يقتصر على ما يتردد فى أعمق أعماق العقل هذه المرة ..

لقد كانت هناك صورة أيضًا ..

فوجه العملاق ، الذى ظل حتى تلك اللحظة خاليًا ، خاويًا من أية ملامح ، راح فجأة يتكوّن ..

ويتشكّل ..

ويتحوّر ..

الجمجمة مالت إلى الجانبين ، وانخفضت على نحو أشبه بالشق من منتصفها ، فى نفس الوقت الذى تكوّنت فيه تجاعيد شديدة ، فى منتصف الجبهة تمامًا ، وراحت تتغيّر فى سرعة ..

ثم ظهرت تلك العين الرهيبة ، فى منتصف الجبهة ..

العين الثالثة ..

وهنا أصبحت الملامح واضحة ..

واضحة تمامًا ..

ومع ضحكة شيطانية مجلجلة ، انبعثت عبارة جديدة ، فى أعمق أعماق أدمغتهم ..

« نعم .. إنه أنا .. »

قالها ذلك العملاق الرهيب ، وسط الصورة المظلمة المخيفة ، ثم انقض فجأة ..

انقضّ على كبيرهم ، وأحاط عنقه بيديه ، وضحكاته الرهيبة تتردّد فى أعماق عقولهم ..

وتتردّد ..

وتتردّد ..

ولأوّل مرة ، ربما فى حياتهم كلها ، اضطرب اتصالهم العقلى القوى ..

اضطرب فى عنف ..

وفى عقولهم ، ارتسمت صورة رهيبة ..

صورة مخيفة ومفزعة ..

إلى أقصى حد ممكن ..

صورة للعملاق ، الذى اكتسب ملامح الغريب الرهيب ، وهو يقبض بأصابعه النحيلة الطويلة القوية ، على عنق كبيرهم ، ويعتصره ..

ويعتصره ..

ويعتصره ..

وفى الصورة نفسها ، كان كبيرهم يختنق بشدة ..

كان وجهه محتقنًا ..

وعيناه جاحظتين ..

ولسانه يتراقص خارج حلقه ..

ولكن العملاق الرهيب واصل اعتصار عنقه ، وهو يطلق ضحكته الشيطانية الوحشية ، التى ترددت وسط جبال ( التبت ) ..

وترددت ..

وترددت ..

وهنا .. ودون اتفاق مسبق ، فتح الرهبان عيونهم ..

وتطلّعوا إلى كبيرهم ..

عندئذ تلاشى الظلام ، وعادت جبال ( التبت ) تكتسب لونها الطبيعى ، ووضوحها التقليدى ، فى مثل تلك الساعة ..

ولم يعد هناك وجود للعملاق ..

ولم تعد ضحكاته تتردد ..

ولكن كبيرهم كان يختنق ..

ويختنق ..

ويختنق ..

وملامحه كلها كانت تؤكّد أنه هناك من يعتصر عنقه بالفعل ..

كلها ..

كان محتقن الوجه ، جاحظ العينين ، متدلّى اللسان ، وكفاه يضربان ما حوله فى استماتة ، وكأنه يقاوم عدوًا خفيًا ..

ثم سمعوا جميعًا قرقعة مكتومة ..

ورهيبة ..

وبعدها سقط رأس كبيرهم على صدره ..

ثم انهار جسده كله ..

انهار دفعة واحدة ..

وجثة هامدة ..

وعلى الرغم من هول الموقف ، لم يتحرك أحدهم لدقيقة كاملة ..

فقط ظلوا يحدقون فى جثة كبيرهم ، الذى ما زال فى جلسته القرفصائية ، وإن غابت عنه كل ملامح الحياة ..

بلا استثناء ..

وبعد مرور تلك الدقيقة ، نهض الرهبان جميعهم فى بطء ، ثم اتجه أحدهم نحو جثة كبيرهم ، وأمسك رأسه ، ليرفعه فى رفق ، و ...

وتجمدت ملامحهم ومشاعرهم دفعة واحدة ..

تجمدت وهم يحدقون جميعًا فى عنق كبيرهم المحطم ، والذى ظهرت عليه فى وضوح ، آثار تلك الأصابع ، التى سحقته بلا رحمة ، وسلبته الروح بلا لمحة من ضمير ..

الأصابع الطويلة ..

النحيلة ..

القوية ..

الشيطانية ..

وعندئذ ، وربما عندئذ فقط ، بدأ رهبان المعابد البوذية فى ( التبت ) يشعرون بالبرد المحيط بهم ..

يشعرون به بشدة ..

وفى كل جزء من أجسادهم ..

فى أطرافهم ..

وقلوبهم ..

وعقولهم أيضًا ..

فالتجربة الرهيبة ، التى عاشوها فى تلك اللحظات ، التى لم تتجاوز فى الواقع الدقيقة الواحدة ، كانت تفوق إدراكهم ..

وتفوق قوتهم ..

وإمكانياتهم ..

ألف مرة ..

لذا ، فقد عادت عقولهم تلتقى ، دون أن يغلقوا أعينهم ..

عادت تلتقى بفكرة واحدة ، أنبأتهم بأن ما حدث مجرد بداية رهيبة ..

بداية لمرحلة خطيرة من حياتهم ..

ومن وجودهم ..

واستمراريتهم ..

خطيرة للغاية ..

وإلى أقصى حد ممكن ..

أو غير ممكن ..

* * *

## ٥ ـ دواعى أمن ..

كعالم جليل ، وخبير محنك فى الطب الشرعى ، له نظرياته ومدرسته ، وشهرته التى جابت الآفاق ، كان من الطبيعى أن ينبهر الدكتور ( محمد حجازى ) ، كبير الأطباء الشرعيين بالحالة التى أمامه ، والتى لم تسجلها أية مراجع طبية أو علمية من قبل ، والتى راح ذلك المسخ يستعيد فيها نشاطه وحيويته ، وسيطرة مخه على جسده ، بعد أن أشارت تقارير الفحص الأولية كلها إلى توقف معدلاته الحيوية ، وأعضاء جسده الخارجية والداخلية عن العمل ..

وبكل شغفه واهتمامه ، وفضوله العلمى البالغ ، راح الدكتور ( حجازى ) يسجل ما يحدث أمامه ، لحظة فلحظة ، ويصف عملية انتقال العلامات الحيوية ، عبر الجسد المسجى أمامه ، بمنتهى الدقة العلمية ، و ...

وفجأة ، اقتحم ذلك الرجل حجرة الفحص ..

رجل يرتدى زياً عسكرياً رسمياً ، اقتحم المكان دون استئذان ، ودون أن يطرق حتى بابه ، وقال بمنتهى الصرامة والغطرسة ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ويشدّ قامته فى اعتداد :

ـ دكتور ( محمد حجازى ) .. أليس كذلك ؟!

استدار إليه الدكتور ( محمد حجازى ) ، بكل استنكار الدنيا ، وهو يقول فى غضب :

ـ كيف دخلت إلى المكان هكذا ؟!

كانت حجرة الفحص ، بالنسبة إليه ، أشبه بالمحراب ، لاينبغى أن يتجاوز عتبتها إلا كل من له صلة مباشرة بها فحسب ..

وبالنسبة إليه أيضًا ، كان وجود رجل عسكرى ، أيًا كانت رتبته ، داخل حجرة الفحص ، أمرًا مرفوضًا ..

مرفوضًا تمامًا ..

لذا ، فقد بدا غاضبًا صارمًا ..

وبشدة ..

ولكن ذلك العسكرى لم يبال أبدًا بالأمر ، بل ظلّ قاسيًا ، متغطرسًا ، وهو يقول :

ـ لم تجب سؤالى بعد .

صاح به الدكتور ( حجازى ) :

ـ وأنت أيضًا .

مطّ العسكرى شفتيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لابأس لو لم ترغب فى الإجابة ، فهذا لن يصنع فارقًا .

قالها ، ثم أشار بسبّابته فى تعالٍ ، فاندفعت مجموعة من الجنود إلى حجرة الفحص ، والتفّت حول المنضدة ، التى يرقد عليها جسد المسخ ، ثم ارتفعت فوهات مدافعهم الليزرية فى تحفز ، جعل الدكتور ( حجازى ) ، يهتف ، فى غضب أكثر :

ـ ما الذى يحدث هنا بالضبط ؟!

أجابه العسكرى ، فى صرامة قاسية :

ـ الأمور هنا لم تعد تحت سيطرتك يا رجل .

كان المكان يزدحم بالجنود ، وبالمدافع الليزرية ، على نحو أجبر الدكتور ( حجازى ) على التراجع إلى الجدار ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ما هذا بالضبط ؟! انقلاب ؟!

قال العسكرى فى صرامة :

ـ ربما يبلغ ما هو أسوأ ، لو تركنا الأمر فى قبضة المدنيين أمثالك ؟!

ردّ الدكتور ( حجازى ) ، فى غضب مستنكر :

ـ المدنيون أمثالى ؟!

تجاهله العسكرى تمامًا هذه المرة ، وهو يشير إلى جنوده ، الذين بدءوا يتعاونون ، لرفع جثة المسخ ، فاندفع الدكتور ( حجازى ) نحوهم ، هاتفًا :

ـ هذا الجسد لن يخرج من هنا .

لم يكد ينطقها ، حتى استدار إليه أحد الجنود فى شراسة ، وألصق فوهة مدفعه الآلى بعنقه ، وهو يطلق زمجرة تحذيرية متحفزة ، دافعًا إياه أمامه فى قسوة ، حتى ضرب ظهره بالجدار ، فابتسم العسكرى ، وهو يقول فى ظفر ساخر :

ـ أخبرتك منذ البداية أن الأمور قد خرجت ، عن نطاق سيطرتك وسلطاتك .

هتف الدكتور ( حجازى ) ، عندما شاهدهم يدفعون محفة خاصة إلى الحجرة :

ـ ليس هذا من حقكم .. لابد من الحصول على موافقة النيابة .

قال العسكرى فى صرامة :

ـ هذا يفوق سلطات النيابة أيضًا .

صاح الدكتور ( حجازى ) فى غضب :

ـ لا أحد فوق القانون .

شدّ العسكرى قامته ، وهو يقول فى قوة وصرامة :

ـ أمن الدولة فوق كل اعتبار .

غمغم الدكتور ( حجازى ) ، بمنتهى الدهشة :

ـ أمن الدولة ؟! وما شأن أمن الدولة ، بعملية فحص قانونية ؟!

أشار العسكرى إلى المسخ ، الذى نقله جنوده إلى المحفة الجديدة بالفعل ، وهو يقول فى ازدراء :

ـ هذا الـ ... الشىء ، عرّض حياة الكثيرين وأمنهم ، إلى خطر رهيب مجهول ، مما يجعله خطرًا على أمن الدولة .

قال الدكتور ( حجازى ) فى عصبية :

ـ أنه مجرّد شخص مصاب عاجز .

ابتسم العسكرى فى سخرية ، قائلاً :

ـ أتؤمن بهذا حقًا ؟!

قال الدكتور ( حجازى ) فى حدة :

ـ هذا رأيى كخبير .

مطّ العسكرى شفتيه ، وقال :

ـ سنضع هذا فى الاعتبار بالتأكيد .

ثم أشار إلى الجنود ، فحملوا جسد المسخ إلى الخارج ، والدكتور ( حجازى ) يقول ، بمنتهى العصبية والغضب :

ـ أكرّر أن هذا ليس من حقكم .. سأتقدّم باحتجاج رسمى إلى السلطات المسئولة ، و ...

قاطعه العسكرى بمنتهى الصرامة :

ـ إنك لن تفعل شيئاً .

قالها ، وهو يمد يده ، ليلتقط جهاز التسجيل ، الذى يحوى كل التفاصيل ، ثم يدسّه فى جيبه ، فانتفض جسد الدكتور ( حجازى ) ، وهو يصرخ :

ـ لا .. ليس هذا .

زمجر الجندى مرة أخرى ، ودفع فوهة المدفع فى عنقه أكثر ، فصرخ غاضباً :

ـ ما هذا بالضبط ؟! احتلال جديد ؟!

أجابه العسكرى بمنتهى الصرامة :

ـ دواعى الأمن تبيح أى شىء فى الوجود يا رجل .

صاح الدكتور ( حجازى ) :

ـ لاشىء فى الدنيا يبيح الاعتداء على حريات الآخرين ، أو تجاوز القوانين والنظم .. لاشىء على الإطلاق .

ابتسم الضابط فى سخرية ، وهو يقول :

ـ هذا ما يتصوره المدنيون أمثالك .

اندفع أحد الجنود فى تلك اللحظة ، وهو يحمل مجموعة من الأسطوانات المدمجة الصغيرة ، وأدى التحية العسكرية لضابطه ، ثم انحنى يهمس فى أذنه ببضع كلمات ، فأومأ برأسه متفهماً وهو يقول ..

ـ عظيم .. عظيم ..

والتقط الأسطوانات المدمجة ، ودسّها فى جيبه ، وقال وهو يرمق الدكتور ( حجازى ) بنظرة ساخرة :

ـ هذه كل الأسطوانات ، التى سجلت ما دار فى الحجرة ، منذ وصول تلك الـ .. الشىء .. هكذا لايعود هناك دليل واحد ، على ما حدث هنا .

صاح الدكتور ( حجازى ) :

ـ ولماذا تسعون لإخفاء ما حدث هنا ؟!

أجابه الضابط ، بمنتهى الصرامة :

ـ ليس هذا من شأنك أيها المدنى .

صاح الدكتور ( حجازى ) بغضب :

ـ بل هو من شأنى ، ومن شأن أى شخص عاقل ، يأبى أن تعود الأساليب الديكتاتورية إلى مجتمعه ، بعد أن تطهّر منها ، وتجاوز ويلاتها الرهيبة .

انعقد حاجبا الضابط ، فى ثورة شديدة ، وهو يهتف :

ـ كيف تجرؤ ..

قاطعه الدكتور ( حجازى ) ، فى ثورة أكبر :

ـ بل أجرؤ ، وسأقولها ألف مرة ، حتى لو أمرت هذا الجندى الحقير بنسف رأسى ألف مرة .. سأقولها من أجل الحرية .. من أجل العزة .. من أجل الكرامة .

احتقن وجه الضابط ، فى غضب هادر ، وصاح فى الجندى :

ـ استعد .

كان الدكتور ( حجازى ) يدرك ما الذى يعنيه هذا ، وعلى الرغم من هذا ، فقد صاح بكل غضب الدنيا :

ـ هيا .. دعه يطلق النار .. دعه يشبع تلك النزعة السادية الدموية فى أعماقك ، و ...

قبل أن يكمل صيحته ، دلف ضابط أكبر رتبة إلى المكان فجأة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ما الذى يحدث هنا بالضبط ؟!

لم يكد ينطقها ، حتى تراجع الضابط الأوّل بحركة حادة ، واتخذ وقفة عسكرية صارمة متوترة ، فى حين بدا الارتباك على الجندى ، الذى يلصق فوهة مدفعه بعنق الدكتور ( حجازى ) ، وراح ينقل بصره بين الضابطين فى قلق ، فى حين أطلّ الغضب من عينى الضابط الأكبر رتبة ، وهو يقول فى صرامة غاضبة :

ـ وكيف يحدث هذا ؟!

قال الضابط الأوّل فى توتر :

ـ سيّدى .. كنا ننفذ الأوامر الخاصة بـ ...

قاطعه الضابط الأكبر فى غضب :

ـ بهذا الأسلوب ؟!

ثم استدار إلى الجندى ، وصاح فيه بغضب هادر :

ـ اخفض سلاحك .

أطاعه الجندى على الفور ، وأدى له تحية عسكرية قوية ، فاستدار إلى الضابط الأوّل ، وتابع بمنتهى الصرامة :

ـ أنت محال إلى محاكمة عسكرية .

قال الضابط فى توتر :

ـ كنت أنفذ الأوامر فحسب .

أجابه الضابط الأكبر ، فى غضب صارم :

ـ المحاكمة العسكرية ستجعلك تعرف الفارق ، بين تنفيذ الأوامر ، وتجاوز الحدود ، واستغلال السلطة والنفوذ .

بدا توتر بالغ على وجه الضابط ، وهو يقول :

ـ كما تأمر يا سيدى .

نقل الضابط الأكبر بصره فى صرامة ، بين وجهى الضابط والجندى ، قبل أن يلتفت إلى الدكتور ( حجازى ) ، ويقول بلهجة عسكرية آمرة :

ـ اتركونا وحدنا .

أطاع الاثنان أمره على الفور ، وغادرا الحجرة معًا ، ليتركاه داخلها وحده ، مع الدكتور ( حجازى ) ، الذى ظلّ صامتًا غاضبًا ، حتى قال الضابط الكبير ، بأسلوب هادئ مهذّب :

ـ كيف أقدّم لك الاعتذار ، على كل ما حدث هنا ؟!

غمغم الدكتور ( حجازى ) ، بنفس العصبية والتوتر :

ـ يكفينى ما فعلته .

ثم لوّح بسبابته ، مستطردًا فى حدة :

ـ ولن تعيدوا جسد ذلك المسخ إلى هنا .

ابتسم الضابط ، وهو يقول :

ـ دعنا نتجاوز كل ما هو مستحيل يا دكتور ( حجازى ) .

اتسعت عينا الدكتور ( حجازى ) وهتف فى غضب مستنكر :

ـ ما هو مستحيل ؟! إننا نتحدّث عن ..

قاطعه الضابط فى هدوء :

ـ سلطاتى لا تبلغ هذا الحد .

حدّق الدكتور ( حجازى ) فى وجهه ، فتابع فى حزم :

ـ إنها أوامر عليا .. أوامر سيادية عليا .

اتسعت عينا الدكتور ( حجازى ) مرة أخرى ، مع هذا الجواب المباشر ، وحدّق فى وجه الضابط أكثر وأكثر ، وهو يغمغم مبهوتًا :

ـ أوامر سيادية عليا ؟! ولكن لماذا ؟!

هزّ الضابط كتفيه ، مجيبًا :

ـ لست أدرى .. أنا مثلك تمامًا .. أنفذ الأوامر فحسب ، ولا شأن لى بالأسباب .

ثم مال نحوه ، وقال وكأنه يذيع سراً رهيبًا :

ـ كل ما أعلمه ، هو أن وجود هذا الشىء هنا ، يهدد الأمن القومى كله .

هتف الدكتور ( حجازى ) :

ـ إلى هذا الحد ؟!

أومأ الضابط برأسه إيجابًا ، قبل أن يضيف ، فى لهجة توحى بخطورة الأمر كله :

ـ وربما الأمن العالمى أيضًا .

خفق قلب الدكتور ( حجازى ) فى عنف ، وحملت عيناه نظرة هلع كبيرة ، وهو يحاول أن يستوعب الموقف كله ، إلا أن الضابط لم يمنحه الفرصة لهذا ، وهو يضع يده على كتفه ، ويقوده خارج حجرة الفحص فى رفق ، وهو يقول فى هدوء ، لم يخل من الحزم :

ـ ووفقًا للأوامر العليا أيضًا ، يفترض أن أحصل منك على وعد .

ردد الدكتور ( حجازى ) فى توتر حائر :

ـ وعد .. أى وعد .

ابتسم الضابط ، قائلاً :

ـ إنه قسم فى الواقع .

ثم توقف خارج الحجرة ، والتفت إليه ، واستعاد حزمه العسكرى الصارم وهو يقول :

ـ أريد منك أن تقسم على أن يظل كل ما حدث هنا الليلة ، منذ وصول ذلك الشىء ، وحتى هذه اللحظة ، سرًا لا يعلم به مخلوق واحد ، مهما كانت الظروف .

ردد الدكتور ( حجازى ) ، وهو يقول :

ـ ولكن المفترض أن ..

قاطعه الضابط ، فى صرامة أكثر :

ـ أقسم يا دكتور ( حجازى ) .. أقسم من أجل الوطن .. من أجل أمنه ، وسلامته ، وبقائه .

« وهل أقسمت ؟! »

ألقى ( نور ) السؤال فى هدوء ، حمل على الرغم منه لمحة مستنكرة ، التقطها الدكتور ( حجازى ) بذكائه المعهود ، فخفض عينيه ، مغمغمًا فى مرارة :

ـ لم يكن أمامى خيار آخر .

كان من الواضح أن الرجل ، بخبراته الواسعة ، وتاريخه العريق ، يشعر بمرارة لاحصر لها ، فى تلك اللحظات العصيبة ، لذا فقد حاول (نور) أن يتجاوز الموقف كله ، وهو يسأله :

ـ وماذا فعلوا بذلك المسخ ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى أسى :

ـ لقد انطلقوا به ، فى سيارة تجميد ، إلى مكان مجهول .. ربما أحد معامل الأبحاث العسكرية ، أو ...

قاطعه (نور) فى توتر :

ـ سيارة تجميد ؟!

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه مؤكدًا ، وهو يقول :

ـ نعم .. سيارة تجميد ، من تلك التى تستخدم فى نقل أى عينات بيولوجية سريعة التلف .

قال (نور) فى دهشة :

ـ إذن فقد كانوا يحاولون الحفاظ عليه حيًا .

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه ، متمتمًا :

ـ هذا ما يبدو .

تضاعفت دهشة (نور) ، وهو يهتف :

ـ ولكن لماذا ؟!

تردد الدكتور (حجازى) لحظة ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

ـ الواقع أننى قد ألقيت على نفسى هذا السؤال عدة مرات يا (نور) ، طوال الأسابيع القليلة الماضية ، ولم أجد سوى تفسير واحد .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يقول فى حزم متوتر :

ـ أن يحاولوا تطويع قدراته .

هتف الدكتور (حجازى) ، فى حماسة مفاجئة :

ـ بالضبط .

بدت رنة الغضب واضحة ، فى صوت (نور) ، وهو يشد قامته ، قائلاً :

ـ لو أن هذا كل ما فكر فيه أولئك العسكريون ، فقد ارتكبوا أكبر حماقة ، فى حياتهم كلها .

غمغم الدكتور (حجازى) :

ـ لو أنك فى موضعهم ، لما أمكنك أن تقاوم الفكرة .. فكرة صنع سلاح عسكرى جبار ، من شىء كهذا .

قال ( نور ) فى حدة :

ـ شىء محطَّم .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى غضب :

ـ ولكنه قادر على إعادة بناء نفسه .

هزَّ الدكتور ( حجازى ) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلاَّ يا ( نور ) .. لست أظن أن باستطاعته أن يستعيد قدرته السابقة ، مهما أعاد بناء نفسه ، أو تمكَّن من السيطرة على جسده .

لوَّح ( نور ) بذراعه كلها ، وهو يقول فى حدة :

ـ ولكنه هنا .

قال الدكتور ( حجازى ) ، فى سرعة وتوتر :

ـ ليس بالضرورة .

سأله ( نور ) فى سرعة :

ـ من سواه إذن ؟!

تردَّد الدكتور ( حجازى ) طويلاً ، قبل أن يتمتم :

ـ ربما خصم آخر .

قال ( نور ) فى صرامة :

ـ خصم آخر ، له نفس قدرات الأوَّل ؟! بل له قدرات تفوق قدرات الخصم الرهيب الأساسى ذاته ؟! لا .. لست أظن هذا منطقيًا ، فحتى لو افترضنا وجود ذلك الخصم الآخر الوهمى ، فلماذا الانتقام ؟! لماذا السعى لإعلان وجوده ، عند كل من واجهوه من قبل ؟!

قال الدكتور ( حجازى ) ، وقد بدا من الواضح أن أعصابه لم تعد تحتمل :

ـ ليس كلهم .

هتف ( نور ) فى حدة :

ـ فليكن .. بعضهم على الأقل .. هل يرضيك هذا ؟!

بدا الضيق على وجه الدكتور ( حجازى ) ، وهو يتمتم :

ـ كل ما يحدث هنا لا يرضينى يا ولدى .

شعر ( نور ) بالخجل ، وهو يتمتم فى توتر :

ـ لم أقصد هذا يا دكتور ( حجازى ) .

غمغم الدكتور ( حجازى ) :

ـ أعلم .

قال ( نور ) فى حدة :

ـ شىء محطم .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى غضب :

ـ ولكنه قادر على إعادة بناء نفسه .

هزّ الدكتور ( حجازى ) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلاّ يا ( نور ) .. لست أظن أن باستطاعته أن يستعيد قدراته السابقة ، مهما أعاد بناء نفسه ، أو تمكّن من السيطرة على جسده .

لوّح ( نور ) بذراعه كلها ، وهو يقول فى حدة :

ـ ولكنه هنا .

قال الدكتور ( حجازى ) ، فى سرعة وتوتر :

ـ ليس بالضرورة .

سأله ( نور ) فى سرعة :

ـ من سواه إذن ؟!

تردّد الدكتور ( حجازى ) طويلاً ، قبل أن يتمتم :

ـ ربما خصم آخر .

قال ( نور ) فى صرامة :

ـ خصم آخر ، له نفس قدرات الأوّل ؟! بل له قدرات تفوق قدرات الخصم الرهيب الأساسى ذاته ؟! لا .. لست أظن هذا منطقيًا ، فحتى لو افترضنا وجود ذلك الخصم الآخر الوهمى ، فلماذا الانتقام ؟! لماذا السعى لإعلان وجوده ، عند كل من واجهوه من قبل ؟!

قال الدكتور ( حجازى ) ، وقد بدا من الواضح أن أعصابه لم تعد تحتمل :

ـ ليس كلهم .

هتف ( نور ) فى حدة :

ـ فليكن .. بعضهم على الأقل .. هل يرضيك هذا ؟!

بدا الضيق على وجه الدكتور ( حجازى ) ، وهو يتمتم :

ـ كل ما يحدث هنا لا يرضينى يا ولدى .

شعر ( نور ) بالخجل ، وهو يتمتم فى توتر :

ـ لم أقصد هذا يا دكتور ( حجازى ) .

غمغم الدكتور ( حجازى ) :

ـ أعلم .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يمكنه أن يتابع :

ـ أنتم تواجهون خطرًا غامضًا ، يهدِّد حياتكم فى كل لحظة ، ولاتجدون له أى تفسير علمى أو منطقى ، ومن الطبيعى أن تثار أعصابكم وتتوتر ، و ...

ـ « ما الذى قصده الضابط ، بأوامر سيادية عليا ؟! »

ألقى (نور) السؤال فجأة ، وهو يفكِّر فى عمق وتركيز ، حتى بدا وكأنه لم يشعر حتى بمقاطعته للدكتور (حجازى) ، الذى بدت عليه دهشة بالغة ، وهو يجيب فى توتر :

ـ وهل يحتاج هذا إلى تفسير يا (نور) ؟!

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً :

ـ بالتأكيد يا دكتور (حجازى) ، فالمصطلح يمكن أن يستخدم ؛ للإشارة إلى وزارة الدفاع ، أو إلى مؤسسة الرياسة ، فأيهما المقصود به فعليًا .

قال الدكتور (حجازى) ، وقد تضاعف توتره :

ـ الذين جاءوا ، كانوا من العسكريين .

هزّ (نور) رأسه ، قائلاً :

ـ هذا يمكن أن ينطبق على الحالتين .

هتف الدكتور (حجازى) ، وقد بلغ توتره مبلغه ، إلى حد عجز عن احتماله :

ـ وما الفارق ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ فارق ضخم للغاية .

ثم التقط جهاز الاتصال المحدود ، الخاص به ، وهو يضيف :

ـ ولا بد من حسمه فورًا .

سأله الدكتور (حجازى) ، فى حذر بالغ التوتر :

ـ وكيف هذا ؟!

لم يجب (نور) تساؤله مباشرة ، وإنما قال فى رصانة حازمة ، عبر جهاز الاتصال :

ـ سيِّدى القائد الأعلى .. لدينا هنا مشكلة ، تحتاج إلى تدخل سيادتكم مباشرة .

أدرك الدكتور (حجازى) على الفور ، أنه يتحدث إلى القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، فتراجع مبهورًا ، وهو يتمتم فى خفوت :

ـ آه .. فهمت ..

أما القائد الأعلى ، فقد سأل (نور) فى اهتمام :

ـ أية مشكلة أيها المقدّم ؟!

أجابه (نور) ، بنفس اللهجة الرصينة الحازمة :

ـ مسألة حياة أو موت ياسيدى .. إننا ..

فجأة ، وبلا مقدمات ، بتر (نور) عبارته ..

وانعقد حاجباه فى شدة ..

فى لحظة واحدة ، وبقفزة مدهشة ، تلاشى كل شىء من حوله بغتة ، وتبدّل على نحو عجيب ..

وفجأة ، لم يعد هناك ، فى حجرة مكتب الدكتور (حجازى) ..

بل صار فى مكان آخر ..

مكان يختلف ..

يختلف تمامًا ..

وكان هذا يعنى أنه لم يعد يسيطر على عقله وحواسه ..

بل هناك ما استحوذ عليهما معًا ..

أو من استحوذ عليهما معًا ..

وبمنتهى القوة ..

* * *

# ٦ ـ التجـربة ..

التقى حاجبا العميد (مـاهر) ، مدير مركز الأبحـاث العسكرية ، وهو يتابع تلك التجربة الفريدة ، التى يجريها فريق من خبراء إدارته ، قبل أن يتمتم :

ـ مدهش .

كان يشعر ، فى أعمق أعماقه ، أن مـا يحدث أمامـه هو طفرة حقيقية ، فى مسار العلم كله ..

طفرة لم تسجلها أية مراجع طبية من قبل ..

أو أية مراجع علمية ..

وكانت كل ذرة فى كيانه تشعر بالزهو ..

والفخر ..

والظفر ..

أما ذلك الفريق ، الذى ضمّ مجموعة من أفضل خبراء المؤسسة العسكرية ، فى الطب ، والإليكترونيـات ، والتكنولوجيا الرقميـة ، والاتصالات ، فقد بدا أفراده مبهورين ، ربما توصلوا إليـه من نتائج ، تتجاوز أفضل وأقوى أحلامهم ، عند بداية التجربة ..

وبصوت يحمل انفعالاً واضحاً ، قال أحدهم ، من داخل الحجرة الزجاجية ، التى تحوى التجربة :

- الاستجابة مدهشة .

وأضاف آخر مبهوراً :

- كل شيء يعمل بكفاءة تامة ، كما لو أنه .. كما لو أنه ..

عجز عن التعبير عما يقصده ، فقال العميد ( ماهر ) فى حزم ، من موقعه الخارجى ، المطل على التجربة :

- مكتمل .. كما لو أنه مكتمل .

هتف الرجل فى حماسة :

- بالضبط .

انتفخت أوداج العميد ( ماهر ) بزهو ظاهر أكثر ، وتراجع فى مقعده ، الذى بدا وكأنه لم يعد يكفيه ، وهو يسأل :

- ومتى يكتمل الأمر فعلياً ؟!

أجابه رجل آخر من الفريق :

- إننا نوشك على السيطرة التامة .

وأضاف آخر فى حماسة :

- أسبوع واحد على الأكثر ، وسيصبح أشبه بعجينة طازجة بين أيدينا ، يمكننا تشكيلها وفقما نشاء .

هزّ العميد ( ماهر ) رأسه ، قائلاً فى صرامة :

- ليس لدينا كل هذا الوقت .

ثم مال إلى الأمام ، مستطرداً فى خشونة قاسية :

- لدينا ثلاثة أيام فحسب ، لتقديم نتائج مكتملة للقيادة .

تبادل أفراد الفريق نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يقول كبيرهم فى ارتباك شديد :

- مستحيل يا سيدى .. إننا ..

قاطعه العميد ( ماهر ) ، بكل صرامة الدنيا :

- ثلاثة أيام فقط .

عادوا يتبادلون تلك النظرة ، ثم تردد أحدهم لحظة ، وقال :

- ما زالت أمامنا صعوبات كبيرة ، لا بد من تجاوزها أولاً ، قبل أن نعلن نجاحنا .

تراجع العميد ( ماهر ) فى مقعده ، وهو يسأله فى صرامة :

- مثل ماذا ؟!

أجابه آخر :

ـ مثل هذه الذبذبات شديدة القوة ، فائقة القصر ، التى تنطلق منه ، كل حين وآخر ، وتسجلها الأجهزة الرقمية والإليكترونية ، فى عنف يتجاوز مؤشراتها التقليدية ، وكل المؤشرات الأخرى أيضًا .

تساءل العميد (ماهر) فى اهتمام :

ـ وما الذى تعنيه هذه الذبذبات .

أجابه رئيس الفريق :

ـ هذا مانسعى لمعرفته .

لوّح العميد (ماهر) بيده ، قائلاً فى صرامة غاضبة :

ـ ثلاثة أيام تكفى .

قال رئيس الفريق فى سرعة :

ـ وماذا لو أنها لم تكف ؟! هل نقدم التجربة ناقصة عندئذ .

واندفع آخر يضيف :

ـ وعلى مسئوليتك الخاصة ؟!

انعقد حاجبا العميد (ماهر) بمنتهى الشدة ، عند هذه النقطة بالذات ، ورفع أصابع كفيه ، ليشبكهما أمام وجهه فى شدة ، وهو يدرس الموقف كله مرة أخرى ، قبل أن يعتدل بحركة حادة ، قائلاً :

ـ خمسة أيام .

قال رئيس الفريق فى سرعة :

ـ بل سبعة .

هبّ العميد (ماهر) من مقعده ، وبدا غاضبًا صارمًا قاسيًا ، وهو يقول منتفضًا :

ـ خمسة أيام ، وهذه أقصى مهلة يمكننى منحها .

تبادل أفراد الفريق تلك النظرة المتوترة مرة أخرى ، ثم غمغم كبيرهم فى استسلام يائس :

ـ فليكن .

تألقت عينا العميد (ماهر) وكأنه فاز فى موقعة حربية طاحنة ، وهو يقول :

ـ عظيم .

ثم عاد إلى مقعده ، وأشار بيده ، مستطرداً بلهجة آمرة :

ـ دعونا نرى كيف يستجيب مرة أخرى .

غمغم أحد أعضاء الفريق :

ـ يلوح لى أننا قد أرهقناه كثيراً اليوم ، ولا ينبغى أن ..

قاطعه العميد فى صرامة :

ـ دعونا نرى هذا .

بدا التوتر على وجوه الجميع ، ولكن رئيس الفريق غمغم مستسلماً :

ـ فليكن .. مرة واحدة فقط .

بدأ الجميع يعملون فى نشاط جم ، لدقيقة كاملة ، قبل أن يعتدل رئيس الفريق ، قائلاً :

ـ الآن .

تحرك شعاع رفيع من الليزر ، فى مسار محدود ، فراح جهاز رقمى خاص يرسم منحنيات أنيقة ، على شاشة من البلازما المسطحة ، وغمغم العميد ( ماهر ) :

ـ مدهش .. مدهش ..

تابع أفراد الفريق تلك المنحنيات فى قلق واضح ، وترقُّب شديد التوتر ، و ..

وفجأة ، اهتزَّ المنحنى الرئيسى فى عنف ..

ثم انطلق ..

انطلق يرسم منحنيات بالغة الحدة ، والقوة والنشاط ..

منحنيات راحت تتزايد ..

وتتزايد ..

وتتزايد ..

وهتفت إحدى عضوات الفريق :

ـ ها هو ذا يفعلها مرة أخرى .

امتقعت وجوههم ، وهم يتابعون المنحنيات ، التى تسارعت ..

وتسارعت ..

وتسارعت ..

ثم بلغت حدها الأقصى ، وبدأت تتحوَّل إلى ما يشبه الخط المستقيم ، فاعتدل العميد ( ماهر ) ، وهو يتساءل فى عصبية :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أجابه قائد الفريق فى توتر :

ـ ما كنا نخشاه .

صاح به العميد ( ماهر ) :

ـ وما الذى تخشونه ؟!

زفر عضو آخر بالفريق ، قبل أن يقول فى مرارة :

ـ ما نحاول كشفه .

وأضاف ثالث :

ـ وليس لدينا الوقت لهذا .

مع أقوالهم ، تضاعفت قوة الذبذبات ..

وتضاعفت ..

وتضاعفت ..

حتى صارت بالفعل مجرّد خط مستقيم ..

خط يعنى الذروة ..

الذروة المطلقة ..

وفى توتر شديد ، غمغمت عضوة الفريق :

ـ ترى ما الذى يفعله بالضبط ؟!

أجابها رئيس الفريق ، مشيرًا إلى الخط المستقيم على الشاشة :

ـ يتجاوزنا .

وصمت لحظة ، ثم استدرك :

ـ يتجاوز كل الحدود .

غمغمت :

ـ المهم ما يفعله بتجاوزها .

التفت إليها أحد زملائها ، قائلاً :

ـ ماذا تتصورين ؟!

امتقع وجهها بشدة ، وكأنها فهمت ما يعنيه ، وتمتمت :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

صاح بهم العميد ( ماهر ) فى غضب :

ـ ما الذى تخشونه بالضبط ؟!

التفت إليه رئيس الفريق ، مجيبًا :

ـ ما يفعله الآن .

صاح به :

ـ وما الذى يفعله ؟!

قلب أحد أعضاء الفريق كفيه ، مغمغمًا :

ـ ليتنا نعلم .

صرخ العميد ( ماهر ) فى ثورة :

ـ أى فريق من الخبراء أنتم ؟! كيف تجهلون ما يفعله ، وأنتم الذين أشرفتم على وجوده منذ البداية ؟!

أجابه رئيس الفريق فى حدة :

ـ نحن نعرف كل مايحدث ، من الناحية التقنية ، والطبية ، والرقمية أيضًا ، وأجهزتنا تسجّل كل التطورات والتغيرات والمتغيرات لحظة فلحظة ، ولكننا لانفهم ما الذى يعنيه هذا ؟!

صاح به العميد ( ماهر ) :

ـ أى قول سخيف هذا ؟!

أجابه فى غضب :

ـ أمر علمى طبيعى ياسيادة العميد ، فنحن نستطيع أن نسجل حالة غضبك الآن ، ونستطيع أن نقول : إنها حالة مبالغة ،

وإنك غاضب ثائر ، وإن معدلات نبضك قد ارتفعت ، وكذلك معدلات تنفسك ، واتساع مسامك ، وإفرازاتك العرقية .. نستطيع أن نسجل كل هذا بمنتهى الدقة ، ولكننا لا نستطيع أن نعرف ما الذى يدور فى عقلك ، فى لحظة غضبك بالضبط ، ولا لماذا تغضب من أمور علمية ، على هذا النحو الزائد .. هذه أمور لا يعرفها سواك .. وحدك فقط ، يمكنك أن تشرحها لنا ، كما تدور فى أعماقك .. بل وحتى أنت نفسك ، قد تعجز عن توصيف وتوضيح مشاعرك الداخلية الشخصية ، فكيف بنا نحن ؟!

خُيّل إليهم لحظة ، أنه لم يفهم حرفًا واحدًا مما قاله رئيسهم ، فقد ظل غاضب الملامح ، محتقن الوجه ، محمر العينين ، وبدا لحظة وكأنه سينفجر فى وجوههم جميعًا ، إلا أنه لم يلبث أن تراجع فجأة ، وعقد كفيه خلف ظهره ، فى وقفة عسكرية صارمة ، وهو يسأل :

ـ وهل هناك وسيلة لمعرفة هذا ؟! أعنى لو منحتكم المزيد من الوقت ؟!

تبادلوا نظرة صامتة ، قبل أن تجيب عضوة الفريق :

ـ سنبذل قصارى جهدنا .

مع نهاية عبارتها ، عادت المنحنيات فجأة إلى إيقاعها الطبيعى ، فغمغم أحد أفراد الفريق :

- لقد انتهى من مهمته .

تمتم آخر فى توتر :

- تُرى ماذا فعل هذه المرة ؟!

نقل العميد ( ماهر ) بصره بين وجوههم ، قبل أن يقول فى صرامة عسكرية قاسية :

- ابذلوا قصارى جهدكم لتعرفوا .

ثم استدار على عقبيه ، وهو يضيف :

- ولكن أمامكم أسبوع واحد .. أسبوع واحد لا غير .

همهم العلماء بكلمات غير مفهومة ، ولكنه تجاهل كل هذا ، واندفع يغادر المكان كله ، وهو يغمغم فى غضب :

- يا للعلماء !

أما هم ، فقد تبادلوا نظرة أخرى صامتة ، ثم تمتم رئيسهم فى حنق :

- يا للعسكريين !

لحظتها ، كان العميد ( ماهر ) يقطع ممر إدارة الأبحاث العسكرية ، فى خطوات واسعة عسكرية صارمة ، وهو يتمتم :

- أسبوع كامل .. القيادة ستظل تطالبنى بالنتائج لأسبوع إضافى كامل !! يا للسخافة !

كان يتجه إلى مكتبه مباشرة ، عندما هرع إليه سكرتيره الخاص ، قائلا فى انفعال :

- سيادة العميد .. وصل تقرير إليكترونى عاجل ، من فريق المراقبة رقم ثلاثة .

سأله العميد ( ماهر ) ، دون أن يتوقف :

- ما الذى يحويه ؟!

سار السكرتير إلى جواره ، وهو يجيب منفعلاً :

- المقدّم ( نور ) وفريقه ، بصحبة السيّدة ( مشيرة ) ، رئيسة ( أنباء الفيديو ) ، ذهبوا جميعاً لزيارة كبير الأطباء الشرعيين ، الدكتور ( محمد حجازى ) فجأة ، ودون اتفاق مسبق .

توقف العميد ( ماهر ) دفعة واحدة ، حتى إن سكرتيره كاد يفقد توازنه ، فاستند بسرعة إلى الجدار ، والعميد يسأله فى توتر :

- جميعهم ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، ولهث على نحو غير مفهـوم ، وهـو يجيب :

ـ جميعهم يا سيِّدى .

انعقد حاجبا العميد ( ماهر ) ، وهو يسأله :

ـ ثم ماذا ؟!

التقط سكرتيره نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ ثم غادر الجميع المكان ، وتركوا المقدَّم ( نور ) وحده ، مع كبير الأطباء الشرعيين .

ازداد انعقاد حاجبى العميد ( ماهر ) ، وهو يغمغم :

ـ وحده ؟!

أومأ السكرتير برأسه إيجابًا ، وتمتم مؤيِّدًا :

ـ وحده يا سيادة العميد .

وعندئذ انعقد حاجبا العميد ( ماهر ) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ولدقيقة كاملة ، لم يتحرك من مكانه قيد أنملة ..

كان من الواضح أن عقله منهمك تمامًا فى التفكير ..

وربما على نحو نادر الحدوث ..

للغاية !

ثم فجأة ، التفت إلى سكرتيره ، قائلاً :

ـ هذا أمر خطير .. تطوُّر خطير للغاية .

غمغم السكرتير ، والانفعال يغمره :

ـ بالتأكيد يا سيِّدى .. بالتأكيد .

استغرق العميد ( ماهر ) فى التفكير ، بضع لحظات أخرى ، ثم عاد يندفع نحو مكتبه ، وهو يقول فى صرامة ، حملت الكثير من التوتر والعصبية ، ولمحة من القلق :

ـ لابد من إبلاغ القيادة فورًا .

اندفع السكرتير ، محاولاً اللحاق به ، وهو يغمغم :

ـ ولكن يا سيِّدى ..

قاطعه بمنتهى الصرامة :

ـ اصمت .

وعندما بلغ باب حجرته ، التفت إليه ، مستطرداً بلهجة آمرة صارمة :

ـ صلنى بسيادة اللواء فوراً .. ومن خلال القناة العسكرية الخاصة المؤمّنة .. أريد اتصالاً محدوداً للغاية ، مع كل الضمانات اللازمة ، لعدم كشف فحوى المحادثة ، بأية وسائل رقمية أو تكنولوجية .

غمغم السكرتير العسكرى ، وهو يندفع لتنفيذ الأمر :

ـ فوراً يا سيّدى .. فوراً .

دلف العميد ( ماهر ) إلى مكتبه ، والتوتر يسرى فى كل ذرة من كيانه ، وألقى جسده على مقعده ، وعاد يشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، ويغرق فى تفكير عميق ..

عميق ..

عميق ..

عميق إلى أقصى حد ..

ومن أعماق ذاكرته ، تصاعدت ذكريات عدة أسابيع ماضية ..

ذكريات تلك اللحظة ، التى وصل فيها جسد ذلك المسخ إلى إدارته ..

إدارة الأبحاث العلمية العسكرية ..

لحظتها رجته المفاجأة من الأعماق ، وهو يحدّق فى ذلك التكوين العجيب ، الذى وصل شبه مجمّد ، وبصحبته ضابط يفوقه رتبه ، واجهه بمنتهى الصرامة ، قائلاً :

ـ هذا الشىء يندرج تحت مسئوليتك المباشرة ، منذ هذه اللحظة أيها العميد .

تساءل يومها فى توتر :

ـ وما هذا الشىء بالضبط ؟!

أجابه الضابط بنفس الصرامة :

ـ ستصلك كل المعلومات من القيادة بعد قليل .

ثم مال نحوه ، مستطرداً :

ـ الأمر يندرج تحت بند السرية المطلقة .

غمغم لحظتها :

ـ هذا واضح .

اعتدل الضابط الكبير ، وقال بصرامته العسكرية :

ـ قم بعملك إذن .

راح يومها يلقى أوامره فى سرعة ، لفريق من أفضل رجاله ؛ لاتخاذ ما يلزم إزاء هذه الحالة الفريدة ، ثم سأل الضابط الكبير :

ـ إنه على قيد الحياة .. أليس كذلك ؟!

أجابه الضابط بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

ـ لسنا ندرى إلى متى يمكن أن يستمر هذا .

تساءل هو :

ـ أينبغى أن نبذل جهدنا ، للإبقاء عليه حيًّا ؟!

صمت الضابط بضع لحظات ، ثم أجاب فى صرامة حاسمة :

ـ ليس لفترة طويلة .

لم يفهم يومها ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ، إلا أن الضابط الكبير تابع فى حزم :

ـ الأوامر ستصل ، بين لحظة وأخرى ..

ولم يمضِ وقت طويل ، حتى وصلت الأوامر ..

والواقع أنها كانت تختلف عن كل ما توقَّعه ..

تختلف تمامًا ..

ولكنه ، كضابط أبحاث محترف ، وعلى الرغم من كل دهشته وشكوكه ، نفذ الأوامر الواردة ..

نفذها كلها ..

وبمنتهى الدقة ..

ولقد استلزم الأمر فريقًا من الخبراء ..

من أفضل خبراء الإدارة العسكرية ..

وحتى من غير العسكريين ..

فبالنسبة للقيادة ، لم يكن التعامل يتم مع بقايا جسد مسجى مصاب ..

أو حتى يسعى لاستعادة قدراته ..

كان التعامل ، كما تؤكِّد الأوامر ، يتم مع سلاح جديد ..

سلاح حربى سرى ..

سلاح فائق الخطورة ..

إلى أقصى حد ..

وعندما تم استدعاؤه إلى الإدارة ، بعد بدء التجربة فعليًّا ، أخبره سيادة اللواء أن ذلك السلاح الحيوى الجديد ، يعتبر أخطر سلاح عرفته البشرية كلها ، بعد القنابل النووية والهيدروجينية ..

أخطر سلاح على الإطلاق ..

يومئذ ، منحوه كل التسهيلات التى طلبها ..

واعتمدوا ميزانية غير محدودة ..

ميزانية مفتوحة ..

ومرنة للغاية ..

ومنذ ذلك الحين ، راحت التجربة تتطور ..

وتتطور ..

وتتطور ..

وها هى ذى الآن ، تشارف بلوغ مرحلة النجاح التام ..

والمطلق ..

و ....

ـ « سيادة اللواء يا سيدى .. »

انتزع نفسه من ذكرياته بحركة حادة ، واعتدل فى سرعة ، يضغط زر الاتصال المؤمّن ، وهو يقول :

ـ مساء الخير يا سيادة اللواء .

ظهر وجه اللواء على الشاشة ، وهو يسأله فى صرامة عسكرية :

ـ ماذا هناك يا سيادة العميد .

تنحنح العميد ( ماهر ) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ هناك تطور غير متوقَّع فى العملية ( س ـ صفر ) يا سيادة اللواء .

انعقد حاجبا اللواء فى توتر ، وهو يسأله :

ـ أى تطوّر هذا ؟!

تنحنح العميد ( ماهر ) مرة أخرى ، وقال :

ـ سأخبرك يا سيادة اللواء .. سأخبرك .

ولقد استغرق حديثهما بعدها ساعة كاملة ..

ساعة شرح خلالها العميد ( ماهر ) ما لديه ..

كل ما لديه ..

شرح أمر لقاء ( نور ) والدكتور ( حجازى ) ..

وحتى مشكلة تلك الذبذبات غير المفهومة ، فائقة القوة ..

وبكل اهتمام ، أصغى إليه اللواء جيدًا ..

ولم يقاطعه بحرف واحد ..

وعندما انتهى من كل ما لديه ، ازداد انعقاد حاجبى اللواء ، وهو يقول فى صرامة :

ـ تطور سخيف للغاية .

تمتم العميد ( ماهر ) :

ـ بالتأكيد .

صمت اللواء بضع لحظات ، ثم قال بنفس الصرامة والحزم :

ـ فليكن أيها العميد ، استمع إلىّ جيدًا ، وافتح أذنيك ومخك ، وكل حواسك الأخرى ؛ فمن الضرورى أن تنفذ ما سآمرك به حرفيًا .. وفورًا .. هل تفهم ؟!

ثم ألقى اللواء أوامره ..

تلك الأوامر ، التى ستنقل العملية كلها إلى مرحلة جديدة ..

مرحلة شديدة الحساسية والخطورة ..

إلى أقصى حد ممكن .

* * *

## ٧ ـ اتصال ..

للوهلة الأولى ، تصور ( نور ) أنه قد سقط ..

سقط فى براثن عقل جبار ..

رهيب ..

شرير ..

وحشى ..

وشيطانى ..

للحظة ، بدا له أن اسمه قد أضيف إلى القائمة ..

قائمة الضحايا ..

فذلك التغير العنيف المفاجئ ، لم يكن يعنى سوى هذا ..

سوى أن شيئًا ما قد فصله عن عالمه الحقيقى ..

تمامًا ..

فكل ما يحيط به قد تغيّر ..

وتبدل ..

واختلف ..

كل ما يحيط به ..

وما يعتمل فى أعماقه أيضًا ..

فكل مشاعره أيضًا قد تغيَّرت .

وعلى نحو بالغ الغرابة ..

للحظة ، كان يشعر بتوتر بالغ ، وبأن الأمور كلها قد تشابكت ..

وتداخلت ..

وتعقَّدت ..

ثم فجأة ، هبت عليه سكينة عجيبة ، وشمله هدوء مدهش ..

هدوء سرى فى كل خلية فى جسده ..

وكل ذرة فى كيانه ..

هدوء مريح ..

جميل ..

رائع ..

وبسرعة ، أدرك عقله أن الأمر يختلف ..

يختلف تمامًا ..

ففى حالة (سلوى ) و(مشيرة ) ، لم يكن هناك أى هدوء ..

ولا فى أية لحظة ..

كان الأمر يرتبط دومًا بالظلام ..

والخوف ..

والقسوة ..

والألم ..

أما فى حالته ، فلا ظلام ..

إنه يشعر وكأن بحرًا من أضواء ناعمة ملوَّنة يحيط به ..

بحر بث فى كيانه كله شعورًا بالراحة ..

والأمان ..

والارتياح ..

ثم إن جسده بدا وكأنه يسبح فى ذلك البحر الدافئ الرقيق ..

يسبح ..

ويسبح ..

ويسبح ..

ومن حوله ، راحت الأضواء تنساب فى نعومة ، وتسبح فى رقة ، وتحيط به وبمشاعره فى رفق ..

وانطلق عقله يعمل ..

انطلق يستعيد ذكريات قريبة ..

ذكريات سيطرة عقلية من نوع آخر ..

نوع مختلف ..

سيطرة إيجابية ..

إلى حد مدهش ..

وفى نعومة ، وبنفس الرقة والرفق ، راحت الأضواء الدافئة المحيطة به تنحسر ..

وتنحسر ..

وتنحسر ..

ثم فجأة ، وجد نفسه هناك ..

حيث كان من قبل[*] ..

فى أعماق جبال ( التبت ) ..

فى قلب ذلك المعبد ..

المعبد البوذى القديم ..

كان يقف فى منتصف دائرة واسعة ، صنعها الرهبان بأجسادهم ، وهم يجلسون القرفصاء ، فى وضع جامد ساكن ..

---

(*) راجع قصة ( البقعة المظلمة ) .. المغامرة رقم ( ١٤٦ ) .

رءوسهم ثابتة ..

عيونهم مغلقة ..

وعقولهم منطلقة ..

كان الموقف يشبه تماماً سابقه ..

مع فارق واحد ..

أنه كانت هناك ، إلى جوار ( نور ) ، وفى منتصف الدائرة تماماً ، جثة ..

جثة كبير الرهبان السابق ، الذى اعتصرت يد مجهولة عنقه ..

يد قوية ..

نحيلة ..

قاسية ..

شيطانية ..

وفى توتر شديد ، تطلَّع ( نور ) إلى جثة كبير الرهبان ، وإلى آثار الأصابع النحيلة الطويلة على عنقه ..

وفهم الأمر ..

فهم على الفور ..

« تفكيرك راجح وعبقرى أيها المقدّم .. »

ترددت العبارة فى أعمق أعماق عقله ، كما حدث فى المرة السابقة ، فاعتدل فى حزم ، وغمغم :

ـ الأمر واضح للغاية .

« للأذكياء فقط أيها المقدّم .. » ..

كان قد اعتاد هذا الأسلوب العقلى فى التخاطب معهم ، لذا فقد قال فى حزم ، محاولاً اكتساب الوقت :

ـ أعرف لماذا استدعيتمونى إلى هنا هذه المرة .

« هذه المرة تختلف .. »

جاءه الجواب فى سرعة ، فالتقى حاجباه ، وهو يسأل فى توتر واضح شديد :

ـ وفيم يختلف ؟!

ألقى السؤال ، وذهنه يضع ألف جواب منطقى له ، ويدرس عشرات الاحتمالات ..

إلا احتمالاً واحدًا ..

ذلك الاحتمال ، الذى أجابه به الرهبان ، عبر تلافيف عقله ..

« أنت لست هنا .. »

هتف بكل دهشته :

ـ لست ماذا ؟!

« لست هنا أيها المقدّم .. أنت مازلت هناك ، فى حجرة مكتب كبير الأطباء الشرعيين ، فى (القاهرة) الجديدة .. مازلت تقف ممسكاً جهاز الاتصال المحدود ، فى سبيلك إلى أن تروى لقائدك الأعلى ما حدث ، وتطلب منه أن يتدخل ؛ لمعرفة مصير جسد ذلك الغريب .. »

عاد يكرِّر ، بكل حيرته ودهشته :

ـ لست هنا .

« إحضارك إلى هنا كان يستلزم طاقة هائلة ، وقوة لا قبل لنا بها ، فى الوقت الحالى ، لذا فقد تركناك هناك ، وجلبنا عقلك .. عقلك وحده .. »

انعقد حاجبا (نور ؟) بمنتهى الدهشة والتوتر ، وراح يدير عينيه فيما حوله ، وهو يتساءل فى أعماقه : أمن الممكن أن يكون هذا صحيحًا ؟!

أهو ليس هنا بالفعل ؟!

ليس داخل ذلك المعبد البوذى العتيق ؟!

مستحيل !

إنه يرصد كل ما حوله فى وضوح ..

جدران المعبد ..

قبته ..

نقوشه ..

تمثال بوذا الضخم فى نهايته ..

والرهبان ..

وجثة كبيرهم ..

يرصد ويرى كل ما حوله ..

ومن حوله ..

كيف لا يكون هنا إذن ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

هذا مستحيل !

« لا تجعل عقلك يخدعك أيها المقدّم .. إنك لست هنا .. ولكن هذا لا يهم الآن .. المهم أن نتعاون مرة أخرى ، لمواجهة ذلك الشىء ، قبل أن يظفر بنا وبكم بلا رحمة .. »

ترددت الكلمات فى أعماق عقله ، وشعر معها بالتوتر ، وهو يتساءل فى قلق شديد :

ـ أهذا ما يسعى إليه ؟! أن يظفر بنا جميعًا ؟!

أتاه الجواب يائسًا بائسًا ، فى أعماق عقله ..

« هذا هدفه فى النهاية ، على كل الأحوال .. »

هزّ ( نور ) رأسه ، وهو يقول :

ـ إذن فقد عاد .

توتره كان يتصاعد ، ويتصاعد ، فى كل لحظة تمضى ، مع كل ما يتكشّف له من أمور ، وما يتضح له من نتائج ..

فبوسيلة أو أخرى ، عاد ذلك الوغد ..

عاد خصمهم الرهيب ..

عاد أقوى مما كان ..

لينتقم ..

ليقضى على كل من تسببوا فى ضياع حلمه السابق ..

حلم السيطرة على العالم ..

على البشر ..

على كافة العقول ..

بلا استثناء ..

ومن الواضح أنه يتطور ..

ويتطور ..

ويتطور ..

قدراته نفسها تتزايد فى كل لحظة ، وتبلغ مستويات لم تبلغها من قبل قط ، حتى فى أقوى لحظاته ..

مستويات رهيبة ..

مخيفة ..

بشعة ..

فى البداية غرس أصابعه فى كتف (سلوى) ..

ثم اعتصر معصم (مشيرة) ..

والآن سحق عنق كبير الرهبان ..

قوته إذن تتزايد ..

وتتزايد ..

وتتزايد ..

قوته تقفز إلى مستويات ، تجاوزت قدرات الجميع ..

حتى رهبان (التبت) أنفسهم ..

« نحن لانؤمن بقدرته على العودة .. » ..

ترددت العبارة فجأة ، فى أعمق أعماق مخه ، فرفع عينيه ، وأدارهما فى وجوه الرهبان من حوله ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ ولكنه عاد .. أليس كذلك ؟!

« عقولنا تقول العكس تمامًا .. » ..

أدهشه ذلك القول ، الذى نبت فى عقله ، وجعله يهتف :

ـ أيًا كان ما تقوله عقولكم ، فهناك ألف دليل الآن ، على أنه هنا .. هنا بقوته ، وشروره ، ورغبته السادية فى تدمير كل من حوله .

« الواقع أن الأمر ليس بهذه البساطة أيها المقدم .. » ..

ترددت العبارة فى عقله ، حاملة مشاعر القلق والتوتر فى أعماقهم ، فلاذ بالصمت التام ، وأرهف عقله جيدًا ..

« منذ بدأ صراعنا معه ، ورصدت عقولنا موجته ، وخزنتها ، وصنعت نوعًا من الرباط المتصل ، بيننا وبينه .. نفس الرباط الذى يربط عقولنا جميعًا بعضها .. رباط يجعلنا نرى كل ما يراه ، ونسمع كل ما يسمعه ، بل ونشعر حتى بكل ما يشعر به .. »

غمغم (نور) :

ـ لست أتمنى أبدًا وجود رباط كهذا ، بينى وبين وغد مثله .

لم يبد أن تعليقه قد استوقف انسياب المعلومات إلى رأسه ، وهى تتواصل بنفس النعومة ..

« عندما تصاعدت قوته ، شعرنا بهذا ، وأدركناه ، وتآزرنا مع فريقك ، ونجحنا معًا فى نحر قوته ، مما سمح لزميلكم بإطلاق رصاصاته عليه .. »

غمغم (نور) فى توتر :

ـ لم أتصوّر لحظتها أن هذا قد حسم الأمر .

« ولكن عقولنا قالت : إنه قد حسمه .. » ..

لم يهضم عقله العبارة هذه المرة ، وشعر كيانه كله بالرفض والاستنكار لها ، فاحتج قائلاً :

ـ ولكن الدكتور (حجازى) أكد أنه ظلّ على قيد الحياة ، على الرغم من إصاباته البالغة .

« لم يظل كذلك طويلاً .. »

أدهشه القول بشدة ..

وأربكه بحق ..

أدهشه ؛ لأنه يخالف كل ما توحى به الأحداث ..

وأربكه ؛ لأنه قلب كل تصوراته رأسًا على عقب ، وسحق كل استنتاجاته بلا رحمة أو هوادة ..

وبكل دهشته وارتباكه ، غمغم :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

« لقد عاد نصف مخه الآخر إلى نشاطه ، وفجّر طاقاته الكامنة ، وبدأ يسعى لاستعادة السيطرة المنفردة على جسده ، ولقد شعرنا بهذا فى حينه ، وتابعنا تطوّره فى قلق فى البداية ، ثم لم نلبث أن أدركنا أنه قد فقد فى الواقع نقطة تفوّقه الرئيسية ، وأنه لن يعود أبدًا كما كان .. »

هزّ (نور) رأسه فى قوة ، وهو يقول فى إصرار :

ـ ولكنه عاد .

أتاه الجواب هادئًا كالمعتاد ، وتسلّل إلى تلافيف مخه فى نعومة ..

« بل لقى مصرعه .. »

هتف (نور) بكل إصراره :

ـ هذا مستحيل !

« بل هذا ما حدث .. لقد فحصوه جيدًا ، وحصلوا على بعض العينات البيولوجية منه ، ثم صدر قرار بإنهاء حياته .. »

هتف (نور) ، بكل دهشة الدنيا :

– قرار بماذا ؟!

كان الأمر كله يبدو بالنسبة له ، كما لو أنه يتابع أحداثًا ، تدور فى كوكب آخر ، أو فى عالم لاصلة له به ..

لقد اقتحموا حجرة الفحص ..

وهددوا الدكتور (حجازى) ..

واستولوا على جسد ذلك المسخ ..

وحصلوا على عينات بيولوجية منه ..

ثم أصدروا قرارًا بإنهاء حياته !

ما الذى يحدث بالضبط ؟!

ما الذى يسعى إليه العسكريون ؟!

ما هدفهم بالضبط ؟!

وأية عينات تلك التى حصلوا عليها ؟!

ولماذا ؟!

وبكل توتره وحيرته ، تساءل :

– وهل نفذوا قرارهم ؟!

« نعم .. نفذوه فورًا .. »

مع العبارة ، التى ترددت فى رأسه هذه المرة ، ارتسمت صورة ما ..

صورة بدت مهتزة ، مشوشة ، باهتة ..

ثم راحت تتضح ..

وتتضح ..

وتتضح ..

وفجأة ، وبلا مقدمات ، بدا المشهد كله شديد الوضوح ..

كان جسد ذلك المسخ مسجى على منضدة فحص ، داخل حجرة واسعة كبيرة ، ويحيط به فريق من الباحثين ..

وفى كل مكان ، كانت هناك عشرات الأجهزة الرقمية الحديثة ..

أجهزة تسجل معدلات النبض ..

والتنفس ..

واستجابة الأطراف ..

وإشارات المخ ..

المخ المنفرد الجديد ..

وكانت كل المؤشرات تؤكد أن المسخ يستعيد نشاطه ..

وأن قدراته البيولوجية تتحسن ..

وتتحسن ..

وتتحسن ..

كان أمرًا فريدًا مدهشًا ، يخالف كل القواعد العلمية والطبية ..

ولكنه كان يحدث ..

ويتطور مثير ..

جدًا ..

تطور يوحى بأنه لن تمضى أيام قليلة ، إلا ويعود ذلك المسخ إلى الحياة ، وإلى حالة الوعى التام ..

أما تلك العين الثالثة ، فى منتصف الجبهة ، فكانت تتابع ذلك الفريق ، بمنتهى الاهتمام والدقة ..

وفى حيرة متوترة ، غمغم أحد أفراد الفريق الطبى :

- عجبًا ! يفترض ، وفقًا لكل التقارير ، أن هذه العين عمياء ، لايمكنها أن ترانا ، وعلى الرغم من هذا ، فهى تتابعنا بمنتهى الدقة والاهتمام ، كما لو أنها ترانا بكل وضوح .

قالت زميلته بنفس التوتر :

- ربما تحوى خلايا التقاط حرارية ، تتبع حرارة أجسادنا ، على نحو ما .

هز رأسه نفيًا ، وقال :

- مطلقًا .. الفحوص كلها أكدت أنها مجرد عين عمياء .

قال ثالث فى عصبية :

- وجودها وحده ظاهرة فريدة .

غمغمت زميلة :

- الواقع أنها تثير خوفى .

قال رابع :

- لست وحدك .

مع آخر حروف كلماته ، دلف أحد الضباط إلى المكان ، وشدّ قامته ، فى وقفة عسكرية صارمة ، وهو يقول :

ـ القيادة أخبرتنا أن نتائج العينات إيجابية أيها السادة .

تساءلت الطبيبة فى حيرة :

ـ أية عينات ؟!

أما زميلها ، فقال فى توتر :

ـ وما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

لم تكن عبارته قد اكتملت بعد ، عندما دخل جنديان مسلحان إلى الحجرة ، فتبعتهما عيون أفراد الفريق الطبى فى قلق ، والضابط يقول فى صرامة شديدة :

ـ يعنى أن مهمتكم قد انتهت أيها السادة .

هتف آخر ، بمنتهى الدهشة والقلق :

ـ انتهت ؟! ولكن الحالة تتطوّر على نحو جيد للغاية ، ولو أن أمامنا أسبوع آخر ، لأعدنا ذلك الشىء إلى حالة شبه طبيعية .

قال الضابط فى صرامة :

ـ ومن يرغب فى هذا ؟!

ثم أشار إلى أحد الجنديين ، فرفع فوهة مدفعه ، وصوّبها إلى رأس المسخ ، فدارت العين الثالثة نحوه ، فى حركة حادة ، جعلت جسده يرتجف فى عنف ، وجعلته يتراجع مبهوتًا ، فصاح به الضابط ، فى غضب صارم :

ـ تماسك أيها الجندى .

التقط الجندى نفسًا عميقًا ، وهتف ، محاولاً التغلُّب على توتره ومخاوفه :

ـ بالتأكيد يا سيّدى .. بالتأكيد .

وعاد يصوّب فوهة مدفعه إلى رأس المسخ ، فهتفت الطبيبة فى عصبية ، وهى تتراجع مذعورة :

ـ ما الذى ستفعلونه بالضبط ؟!

أجابها الضابط فى صرامة :

ـ ليس هذا من شأنك يا سيّدتى .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف فى قسوة :

ـ ماذا تفعلون هنا بالضبط ؟! لقد أخبرتكم أن دوركم قد انتهى .

ازدرد أحد الأطباء لعابه فى صعوبة ، وتمتم فى توتر :

ـ سيّدى .. هذه الحالة ..

قاطعه الضابط بصيحة صارمة :

ـ إلى الخارج .

ثم استدار إلى الجندى الآخر ، صائحًا :

ـ أيها الجندى .

رفع الجندى الآخر فوهة مدفعه نحو فريق الأطباء ، فهتفت الطبيبة مذعورة ومرتاعة :

ـ سأغادر .. سنغادر جميعًا فورًا .

اندفعوا لمغادرة المكان ، فى ارتياع واضح ، حتى خلا تمامًا ، إلا من الجنديين وضابطهما ، وذلك المسخ المسجى على مائدة الفحص ، والذى راحت عيناه الثلاثة ترصد ما يحدث ، فى انتباه كامل ، وخاصة عندما ابتسم الضابط فى سخرية ، وهو يقول :

ـ حانت نهايتك أيها الشىء الحقير .

استدارت العين الثالثة عندئذ ، وحدقت فى الضابط مباشرة ، فتراجع بحركة حادة ، وصاح فى الجندى :

ـ الآن .

وضغط الجندى زناد مدفعه ..

وانتفض جسد ( نور ) فى عنف ، مع بلوغ المشهد هذه النقطة ، قبل أن يتلاشى تمامًا ، و ...

« هل تأكدت بنفسك أيها المقدّم ؟! »

انساب التساؤل فى تلافيف مخه ، فى اللحظة التى بلغت فيها انفعالاته ذروتها ، فهتف :

ـ ألا يمكن أن ..

قبل أن يكتمل تساؤله ، أتاه الجواب عبر عقله مباشرة ..

« مستحيل ! لقد لقى مصرعه فى تلك اللحظة ، وعقلك شاهد الآن كل ما شاهدناه نحن لحظتها ، عبر اتصالنا العقلى الفائق .. »

هزّ ( نور ) رأسه ، وهو يقول فى توتر :

ـ ما الذى يهاجمنا إذن ؟!

« عقل آخر .. » ..

وصدمه الجواب بعنف هذه المرة ..

عقل آخر ؟!

عقل جبار آخر ؟!

يا للهول !

كيف يمكن أن يكون هناك عقل آخر ، بكل هذه القوة ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

كيف يمكن أن تنبت طفرة وراثية ثانية كهذه ؟!

وبكل مخاوفه ، تساءل :

ـ أأنتم واثقون ؟!

أجابوه فى وضوح أكثر ، عبر خلايا مخه الرمادية ..

ـ « ما حدث ليس له تفسير آخر .. هناك عقل جديد .. عقل أكثر قوة ، وأقدر على الانطلاق بلا حدود .. عقل يبدو أنه قد بلغ مرحلة من التطور ، جعلته قادرًا على تجاوز كل احتياجات الجسد الحتمية ، والانطلاق إلى أقصى حدود القوة .. »

تضاعفت حيرته ألف مرة ، وهو يغمغم :

ـ ولكن الأحداث كلها تقول : إنه قد عاد لينتقم .. أى تفسير لديكم لهذا ؟!

« ليس لدينا أى تفسير .. »

ترددت العبارة فى ذهنه ، فانعقد حاجباه فى شدة ، لتضاف إليها عبارة أخرى باهتة ..

« هذه مهمتكم .. » ..

ومع آخر حروف الكلمة ، عادت تلك الأضواء الملونة تحيط به ، بنفس الدفء والنعومة والرفق ، و ..

« ما المشكلة يا ( نور ) ؟! .. » ..

استقبلت أذنه السؤال هذه المرة ، بصوت القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، فانتفض جسده ، والتقى حاجباه فى شدة ، وانتبه إلى أنه مازال داخل مكتب الدكتور ( حجازى ) ، يمسك جهاز الاتصال المحدود ، والقائد الأعلى يقول فى قلق :

ـ ( نور ) .. أين ذهبت ؟!

أثار السؤال مزيدًا من توتره ، فقال فى سرعة :

ـ معذرة يا سيدى .. لقد تشتت ذهنى بعض الوقت ، و ...

قاطعه القائد الأعلى فى دهشة :

ـ بعض الوقت ؟! أنت توقفت عن الحديث لحظة .. لحظة واحدة يا ( نور ) ..

لحظة واحدة ؟!

وتضاعفت دهشته ألف مرة ..

بل ألف ألف مرة ..

يا لغرابة العقل البشرى !

كل هذا حدث فى لحظة واحدة !!

لحظة واحدة ألقى خلالها كل تساؤلاته ..

وتابع مشهد اغتيال ذلك المسخ ..

وانتقل بعقله إلى أقصى العالم ..

كل هذا فى لحظة واحدة ..

لحظة واحدة فحسب ..

« ماذا دهاك يا ( نور ) ؟! »

هتف القائد الأعلى بالسؤال ، فى قلق أكثر ، عبر جهاز الاتصال المحدود ، واعتدل الدكتور ( حجازى ) ، متطلعًا إلى ( نور ) فى قلق مماثل ، وغمغم :

ـ ( نور ) .. أأنت بخير يا ولدى ؟!

انتفض جسد ( نور ) مرة أخرى ، وعاد حاجباه يلتقيان بشدة ، وهو يقول للقائد الأعلى :

ـ سيدى .. أطلب مقابلتك فورًا ، لأمر شديد الأهمية والخطورة ، إلى أقصى حد .

وكان هذا يعنى أن ( نور ) قد قرر نقل المعركة كلها إلى مضمار جديد ..

مضمار أكثر خطورة ..

وأكثر حساسية ..

ألف ألف مرة ..

* * *

# ٨ ـ عسكريون ..

« لست أفهم ما يحدث بالضبط .. » ..

هتف رئيس الفريق العلمى ، فى مركز الأبحاث العسكرية بالعمارة ، فى غضب شديد ، وهو يخضع مرغمًا إلى إجراءات الأمن المشددة ، التى أصدر العميد (ماهر) أوامره بها ، منذ ساعة واحدة ، فانعقد حاجبا هذا الأخير ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ما الذى لا تفهمه بالضبط ؟!

هتف رئيس الفريق فى حدة :

ـ كل شىء .. إنكم تتعاملون معنا كما لو كنا مجرد .. مجرد ..

قاطعه العميد (ماهر) ، فى صرامة أكثر :

ـ مجرد ماذا ؟!

احتقن وجه الرجل ، وهو يلوح بذراعيه ، وقد اختنقت الكلمات فى حلقه ، وعجز عن النطق بها ، فأجابت زميلته ، فى حدة واضحة :

ـ مجرد موظفين صغار ، لا شأن لنا .

تطلع إليها العميد (ماهر) بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يبتسم فجأة ابتسامة مقيتة ، قائلاً :

ـ بالنسبة لأمر كهذا ، أنتم بالفعل مجرد موظفين صغار .. لا شأن لكم .

تفجر غضب مستنكر ، فى وجوههم جميعًا ، وقال رئيس الفريق ، وقد احتقن وجهه فى شدة :

ـ ستحاسب على هذا القول .

أشار العميد (ماهر) بيده ، قائلاً فى غلظة :

ـ فليكن .. المهم أن نحمى هذا السلاح السرى الخطير أولاً ، وبعدها لا شىء يهم .

صاحت العالمة فى وجهه بغضب :

ـ أنسيت أننا نحن صنعنا هذا الشىء ؟! نحن الذين أنتجناه ، وطورناه ، وساعدناه على اكتساب طاقاته وقدراته الجديدة .

مط العميد (ماهر) شفتيه ، قائلاً :

ـ اعملوا على حمايته إذن .

اندفع رئيس الفريق ، يقول :

- أنت تعلم أن هذا الشىء لاوجود له ، من الناحية الرسمية ، وأن أحداً لايعلم حتى بأننا قد أجرينا هذه التجربة ، أوقمنا بإنتاج وتطوير هذا الـ ....

قاطعه العميد ( ماهر ) فى ضجر :

- ما الذى تسعى لإثباته بالضبط ؟!

لوّح رئيس الفريق بيده ، وهو يشير إلى ذلك الشىء ، مجيباً :

- أننا أكثر من يرتبط به ، ويعرف المناسب لصالحه تماماً .

ابتسم العميد ( ماهر ) فى سخرية ، قائلاً :

- حقاً ؟!

ثم مال نحوه ، مضيفاً فى سخرية أكثر :

- إنكم حتى لاتعرفون ما الذى يفعله ، عندما يطلق تلك الذبذبات القوية .

قالت العالمة فى حدة :

- إنكم لم تمنحونا الفرصة لمعرفة هذا .

أجابها فى سرعة وصرامة :

- كنت أنوى منحكم الفرصة .

ثم صمت لحظة ، قبل أن يضيف :

- ولكن الأمور تطوّرت فى سرعة .

تبادل فريق العلماء نظرة متوترة ، ثم تساءل أحدهم فى قلق :

- أية أمور ؟!

فى الظروف العادية ، لم يكن العميد ( ماهر ) ليفصح عما لديه أبداً ، إلا أنه ، وتحت ضغط التوتر الشديد ، وجد نفسه يجيب فى توتر :

- بعضهم يشك فى أننا نفعل ما نفعله .

تبادلوا نظرة أخرى ، قبل أن تهتف العالمة :

- مستحيل ! إننا لم نغادر المركز ، منذ بدأنا تجربتنا هذه .

هزّ العميد ( ماهر ) رأسه ، مغمغماً :

- ولكن أحدهم علم ما يحدث .

كرّرت العالمة فى حزم :

ـ مستحيل !

التقط العميد (ماهر) نفسًا عميقًا ، ثم قال بمنتهى الصرامة :

ـ مستحيل أو غير مستحيل ! هناك شخص ما يعلم .

« وكيف علم ؟! »

ألقى رئيس الفريق السؤال ، فى توتر شديد ، أثار انتباه واهتمام العميد (ماهر) ، فالتفت إليه فى صرامة ، قائلاً :

ـ هل يشغلك السؤال ؟!

أجابه الرجل فى جدية شديدة :

ـ أكثر مما تتصوّر .

كاد العميد (ماهر) يلقى عبارة ساخرة ، فى هذا الشأن ، لولا أن لمح الشغف والاهتمام الشديدين ، على وجوه الجميع ، فأجاب فى حذر :

ـ يبدو أن أحدهم قد واجه شيئًا ما .. أو مرّ بتجربة عنيفة ، جعلتهم يتصورون أن الخصم القديم قد عاد .

ردّدت العالمة ، بمنتهى الدهشة والذعر :

ـ الخصم القديم ؟!

أومأ العميد (ماهر) برأسه إيجابًا ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

ـ نعم .. الخصم القديم ، قبيل مصرعه .

اتسعت عينا رئيس الفريق ، وهو يتمتم فى ذهول :

ـ عاد ؟!

تبادل الكل نظرة صامتة ، مفعمة بالتوتر والقلق ، قبل أن تغمغم العالمة ، بكل ذعر الدنيا :

ـ هذا ما كنت أخشاه .

وتمتم زميل لها :

ـ لقد فعلها .

أما رئيس الفريق ، فقد أدار عينيه بحركة حادة ، نحو تلك الشىء الذى يراعونه ، والذى أنتجوه بتكنولوجيا مبهرة ، وحدّق فيه بذعر واضح ، جعل العميد (ماهر) يسأله فى عصبية :

ـ فيم تفكّر يا رجل .

غمغم رئيس الفريق ، وكأنه لم يسمعه :

ـ إذن فقد عاد .

هتف به العميد (ماهر) :

- من الذى عاد ؟!

تابع رئيس الفريق ، وكأنه لم يعد يشعر بما حوله :

- عاد لينتقم .

هتف العميد (ماهر) ، فى عصبية بالغة :

- أيمكن أن يخبرنى أحدكم ، ماذا يحدث هنا ؟!

التفت رئيس الفريق إلى زميلته ، وقال فى قلق رهيب :

- تلك الذبذبات الفائقة .

فهمت ما يقصده على الفور ، فأطلقت شهقة قوية ، وهتفت :

- رباه ! رباه !

صرخ العميد (ماهر) ، وقد بلغت عصبيته ذروتها :

- ماذا يحدث بالضبط ؟!

وهنا فقط ، استدار إليه رئيس الفريق ، وقال فى حزم شديد التوتر والانزعاج :

- يجب إنهاء هذه التجربة فوراً .

خُيِّل للعميد (ماهر) أنه لم يسمعه جيدًا ؛ لذا فقد حدَّق فيه بضع لحظات ، قبل أن يهتف مستنكراً :

- إنهاء ماذا ؟!

أجابه رئيس الفريق فى توتر :

- هذه التجربة .. يجب أن تنتهى فوراً ، ودون إضاعة لحظة واحدة .

صاح فيه العميد (ماهر) :

- هل جننت يا رجل ؟!

هتف رئيس الفريق :

- سأكون مجنوناً بالفعل ، لو سمحت باستمرار هذه التجربة الرهيبة .

ثم استدار إلى أفراد فريقه ، وهو يتابع ، فى عصبية شديدة :

- لقد أخطأنا منذ البداية يا رفاق .. أخطأنا عندما بدأنا هذه التجربة .. أخطأنا عندما استجبنا لفضولنا العلمى ، وقررنا أن نتحدَّى الطبيعة على هذا النحو البشع .

واحمرَّت عيناه على نحو عجيب ، وانتفض جسده فى قوة ،

وكأنه يعانى من انفعال جارف ، وهو يلوّح بذراعيه ، ويميل بجذعه كله ، مكملاً فى ثورة مذعورة :

– لقد أطلقنا الوحش .. أعدناه مرة أخرى إلى الوجود ؛ ليفتك بكل من أزاله منه من قبل .

امتقع وجه العالمة بشدة ، وهى تقول :

– لقد أخطأنا .. لم يكن ينبغى أن نفعل هذا أبدًا .

نقل العميد ( ماهر ) بصره بينهم فى استنكار ، قبل أن يقول فى حدة :

– ولكنكم فعلتموه .. صنعتم هذا السلاح ، الذى سيمنحنا تفوقًا مدهشًا ، على كل دول العالم ، والذى يفوق القنبلة الذرية ألف مرة .. السلاح الذى سيضعنا على رأس الأمم كلها بلا منازع .

صاح فيه رئيس الفريق :

– ربما نكون قد انتجنا سلاحًا رهيبًا بالفعل ، ولكنه موجّه إلى صدورنا ورءوسنا نحن ، وليس إلى رءوس أو عقول أعدائنا .

وعادت عيناه تحمرّان على نحو مخيف ، وهو يكمل :

– لابد من إنهاء التجربة .. لابد من إنهائها الآن ، وفورًا ، قبل أن تحدث الكارثة .

صاح به العميد ( ماهر ) فى غضب :

– على جثتى .

التقط الرجل نفسًا عميقًا ، محاولاً السيطرة على أعصابه الثائرة ، قبل أن يلوّح بكفيه ، قائلاً :

– سيادة العميد .. إنك لاتفهم مايحدث بالضبط ..

ذلك الشىء انطلق بالفعل من عقاله .. انطلق بكل قوته وطاقاته ؛ لينتقم من كل من أساء إليه فيما مضى .

ردّد العميد ( ماهر ) فى توتر ، وهو يرمق ذلك الشىء بنظرة مستنكرة :

– فيما مضى ؟! أى قول هذا ؟!

قالت العالمة فى عصبية :

– إنه يتذكّر .

هتف العميد ( ماهر ) فى حدة :

– مستحيل ! إنه مجرّد .. مجرّد .

قاطعه أحد أفراد الفريق فى توتر :

– لاتجعل المظاهر تخدعك .. هذا الشىء أقوى ممايبدو ..

حتى حواجزكم وأسواركم ، لايمكنها أن تمنعه من الانطلاق بلا حدود .

هزّ العميد ( ماهر ) رأسه غير مصدّق ، وهو يقول :

ـ مستحيل .. إنه مجرّد .....

قبل أن يتمّ عبارته ، اختطف رئيس الفريق فجأة أسطوانة إطفاء ، وهوى بها على فك العميد ، صارخًا :

ـ حاول أن تفهم .

كانت مبادرة مفاجئة ، باغتت العميد ( ماهر ) بالفعل ، فتراجع جسده بمنتهى العنف ، وارتطم بالباب ، ليغلقه فى وجه جنوده ، فى نفس اللحظة التى صاح فيها رئيس الفريق ، بأحد العلماء الشبان :

ـ أسرع يا هذا .. أسرع بالله عليك ..

ثم لهث فى عنف ، وكأنما بذل جهدًا خرافيًا ، وهو يضيف :

ـ أتلف هذا الشىء .

اندفع الجنود يضربون الباب بأكتافهم من الخارج ، فى محاولة لاقتحام ذلك المعمل الخاص ، المؤمّن ضد كل محاولات

الدخول غير المشروعة ، فى حين التقط العالم الشاب أسطوانة إطفاء أخرى ، واندفع بها نحو ذلك الشىء ، ورئيس الفريق يصرخ :

ـ أتلفه .. مزّقه تمزيقًا .. أنقذنا من الجحيم القادم يا هذا .. أنقذنا بأى ثمن .

كان العميد ( ماهر ) يحاول النهوض فى صعوبة ، ورأسه يدور فى عنف ، عندما اندفع العالم الشاب نحو ذلك الشىء ، ورفع الأسطوانة على ارتفاع ذراعيه ، ليهوى بها عليه بمنتهى العنف ، و ...

وفجأة ، أظلمت الدنيا كلها أمامه ..

أظلمت على نحو مباغت مخيف ..

ثم هبّت رياح قوية فى وجهه ..

رياح جعلته يغلق عينيه لحظة ..

لحظة واحدة ..

وعندما فتحهما ، كان ذلك العملاق يقف أمامه ..

عملاق هائل ، يبلغ ضعف حجمه تقريبًا ، ويقف أمامه بلا ملامح ، فيما عدا فم يحمل ابتسامة ..

ابتسامة ساخرة ..

ظافرة ..

شامتة ..

قاسية ..

شريرة ..

وحشية ..

وشيطانية ..

وارتجف العالم الشاب ..

ارتجف من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ..

ارتجف ..

وارتجف ..

وارتجف ..

وبصوت رهيب ، قال ذلك العملاق :

– تريد القضاء عليّ .. أليس كذلك ؟!

تجمدت الدماء ، فى عروق العالم الشـاب ، وظل ذراعاه يحملان أسطوانة الإطفاء الثقيلة ، وقلبه يخفق فى عنف ..

ويخفق ..

ويخفق ..

وبنفس الصوت ، تابع العملاق :

– يا للحماقة !

وبضربة بسيطة ، ألقى أسطوانة الإطفاء بعيدًا ، ثم رفع يده ، ذات الأصابع النحيلة الطويلة وهو يضيف :

– فمن يحمل لى الموت ، أمنحه أبشع ميتة .

قالها ، ثم هوى بيده ..

هوى بأصابعه الطويلة ..

النحيلة ..

القاتلة ..

وشهق العالم الشاب ..

شهق بمنتهى القوة والألم ، عندما اخترقت الأصابع الرهيبة عنقه ، وفجّرت أنهارًا من الدم بمنتهى العنف ..

وعندئذ .. عندئذ فقط تلاشى الظلام ..

وتفجرّ الرعب ..

بلا حدود ..

فبالنسبة للموجودين فى الحجرة كان المشهد رهيبًا ..

مخيفًا ..

مرعبًا ..

ومحطمًا لأعصاب أقوى الرجال وأشجعهم ..

فالعالم الشاب كان يندفع نحو ذلك الشىء ..

ثم توقف فجأة ..

وأمام عيون الجميع ، طارت أسطوانة الإطفاء من يده ، كما لو أنها قد تلقت ضربة عنيفة ..

ثم اخترق شىء ما عنق الشاب ..

اخترقه بمنتهى القوة ..

والعنف ..

بلا هوادة ..

أو روية ..

أو رحمة ..

وتفجرت دماء العالم الشاب ، وسقط على ركبتيه ، وهو يطلق شهقة تلو أخرى ، فى حين تراجعت زميلته ، وهى تصرخ ، بكل رعب الدنيا وهلعها :

- لا .. لا ..

أما العميد ( ماهر ) ، الذى شاهد ما حدث فى وضوح ، فقد

اتسعت عيناه عن آخرهما ، وتجمدت مشاعره كلها تمامًا ، وسط صرخات أفراد الفريق العلمى ، الذين تدافعوا نحو الباب ، محاولين الفرار من المكان ، ورئيسهم يصرخ :

- لقد فعلها .. لقد انطلق من عقاله .. لقد تجاوز كل الحدود .

ردد العميد ( ماهر ) ، فى ذهول ما بعده ذهول :

- مستحيل ! مستحيل ! مستحيل !

استعاد عقله ، فى لحظة واحدة ، كل ما حدث منذ البداية ..

وصول ذلك المسخ ..

أوامر القيادة ..

اتخاذ القرار ..

ومرحلة التنفيذ ..

استعادة عقله بداية التجربة ..

وتطورها ..

وذروتها ..

استعاد مخاطرها ..

ومخاوفها ..

ومعارضاتها ..

وتلك الذبذبات فائقة القوة ، التى أربكت وحيّرت وأقلقت كل العاملين فى المشروع ..

الذبذبات التي ظلت غامضة ..

مبهمة ..

مخيفة ..

حتى أدرك الآن فقط ماهيتها ..

لقد كانت تعبيراً عن انطلاق ذلك الشىء ..

عن تجاوزه لكل الحدود ، وتحطيمه لكل الحواجز ، ومروره عبر كل الموانع ..

على الرغم من كل الإجراءات ..

والنظم ..

وحوافظ الأمن ..

لقد نجحت التجربة ..

نجحت نجاحاً رهيباً ..

وكما قال رئيس الفريق : لقد انطلقت دون ضابط أو رابط ..

انطلق السلاح السرى الرهيب ، نحو صدورهم ..

وأجسادهم ..

وقلوبهم ..

وعقولهم ..

انفجر فى وجوههم ، قبل أن ينفجر فى وجوه الأعداء ..

مرّ كل هذا فى ذهنه ، خلال ثانية واحدة ، وهو يحدّق فى ذلك الشىء ، وفى بركة الدم المحيطة بجثة العالم الشاب ، ويسمع من حوله أفراد الفريق ، وهم يستميتون ، فى محاولة للخروج من الحجرة ، التى استجابت أجهزة أمنها الإليكترونية للهرج الذى حدث داخلها ، فأوصدت كل مداخلها ومخارجها فوراً ؛ لحماية ذلك السلاح ..

السلاح السرى الجديد ..

وفى انهيار تام ، هتفت العالمة :

ـ أخرجونا من هنا .. أخرجونا من هنا بالله عليكم .

وكاد رئيس الفريق يبكى ، وهو يقول :

ـ كان يجب أن ننهى التجربة .. كان ينبغى أن ننهيها ، عندما كان باستطاعتنا هذا .

انعقد حاجبا العميد ( ماهر ) ، وهو يغمغم :

ـ نعم .. ينبغى أن ننهيها .

سحب مسدسه ، وهو ينهض كالمنوّم ، ويتجه نحو ذلك الشيء مباشرة ، فى حين انهار أحد العلماء تمامًا ، وهو يهتف :

ـ انتهى أمرنا .. سيقتلنا جميعًا حتمًا .

لم يسمعه العميد ( ماهر ) ، وهو يتجه نحو ذلك الشيء ، ويقترب منه ..

ويقترب ..

ويقترب ..

وبكل الحزم والعزم فى أعماقه ، وعلى الرغم من كل الأوامر الصادرة إليه ، ودون أن يفارق ذهنه مشهد العالم الشاب ، وهو يسقط صريعًا ، رفع العميد ( ماهر ) فوهة مسدسه ، مغمغمًا :

ـ ينبغى أن ننهيها .. فورًا ..

استدار إليه العلماء فى رعب ، وتمنى كل منهم فى أعماقه أن يتم مهمته ، وأن يطلق النار ؛ لينسف ذلك الشيء بالفعل ، و ...

ولكن فجأة ، لم يعد المكان كما كان ..

لقد أحاط بهم بغتة ظلام رهيب ..

ظلام دامس ، جعلهم يصرخون فى رعب ، وجعل أحدهم يسقط على ركبتيه ، هاتفًا فى انهيار :

لقد ظفر بنا .

ولم يعلّق أحدهم على قوله بحرف واحد ..

فأمام أعينهم مباشرة ، ومن موضع ذلك الشيء ، نهض عملاق رهيب ..

عملاق بلا ملامح ..

نهض يقول ، فى ارتياح شيطانى عجيب :

ـ أخيراً أيها العميد ..

وارتجف رئيس الفريق ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ..

وشهق العالمان الآخران ، بكل رعب الدنيا ..

أما العالمة ، فقد سقطت فاقدة الوعى ، عندما انحنى العملاق على جسد العميد ( ماهر ) فى سرعة ، وأمسك كتفه بيسراه ، ثم ضرب عنقه بيمناه ..

وطار رأس العميد ( ماهر ) ..

طار ليسقط وسط ذلك الظلام الرهيب ، ويتدحرج إلى مالا نهاية ..

وهنا ، أطلق العملاق ضحكته الرهيبة ..

ضحكته الساخرة ..

الظافرة ..

القاسية ..

الشيطانية ..

الوحشية ..

الضحكة التى أعلنت أنه قد عاد بالفعل ..

عاد أقوى مما كان ..

عاد لينتقم ..

بمنتهى العنف ..

ومنتهى الوحشية .

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثانى بإذن الله

( عودة الشر )